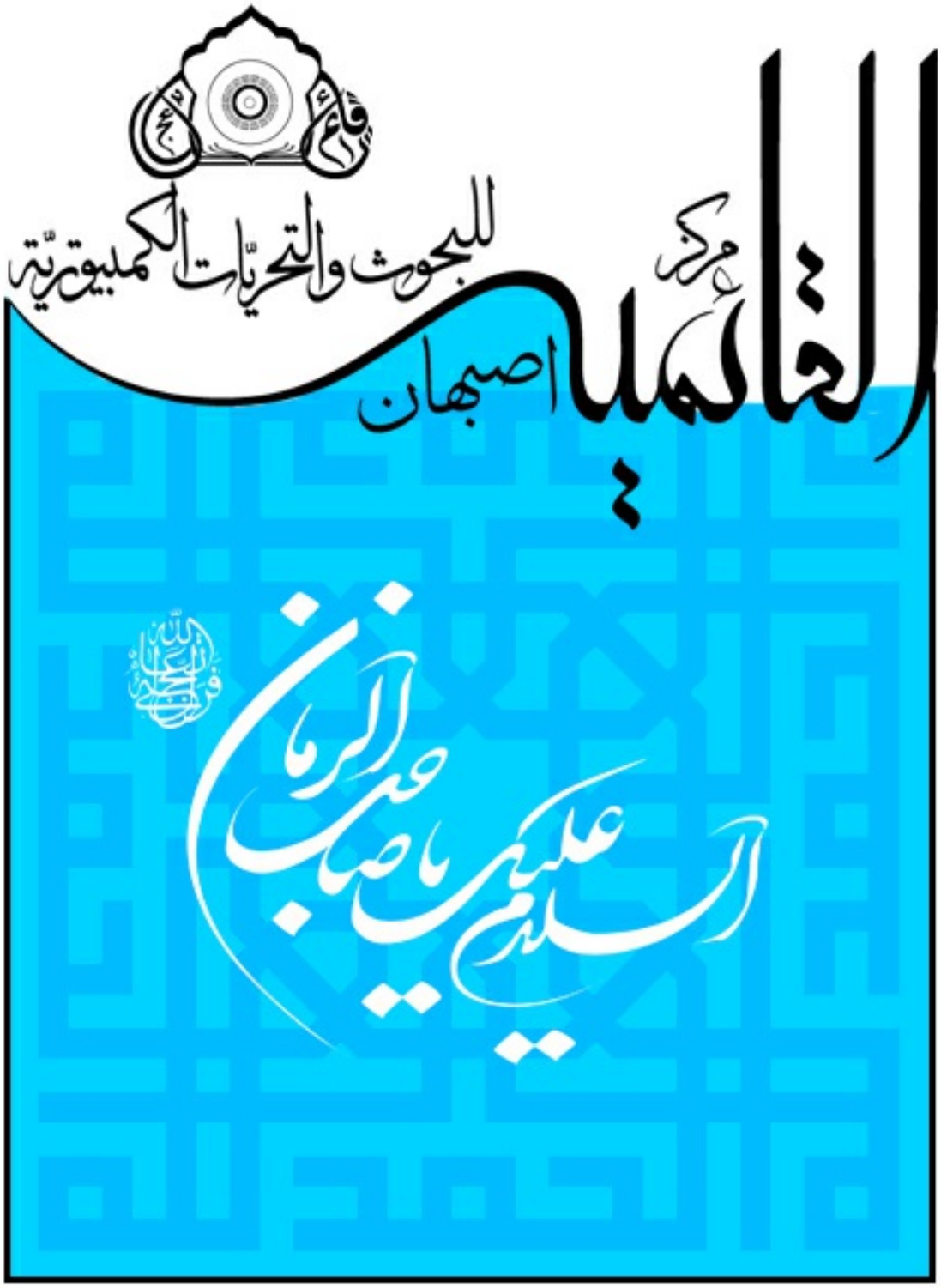

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

مهدوية
أفاق
محاضرات في الإمام المهدي
السيد منير الخباز

بسم الله الرحمن الرحیم

آفاق مهدوية : محاضرات حول الامام المهدي عليه السلام

كاتب:

منير الخباز القطيفي

نشرت في الطباعة:

مركز الدراسات التخصصية في الامام المهدي (عليه السلام)

رقمي الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس 5

آفاق مهدوية : محاضرات حول الإمام المهدي عليه السلام 11

اشارة 11

اشارة 11

مقدمة المركز: 15

المحاضرة الأولي: الإمام المهدي عليه السلام والدور الرسالي تجاه المجتمع البشري 19

اشارة 19

الإمام المهدي عليه السلام والدور الرسالي تجاه المجتمع البشري 21

اشارة 21

نظريتان حول دور الإمام المهدي عليه السلام في غيبته: 22

الفرق بين تأثير الخالق والمخلوق في التدبير: 25

رأي صاحب الميزان قدس سره: 27

الأمر الثاني: 27

الهداية الأمرية ودور الإمام فيها: 28

المستشرقون والغزو الفكري للمجتمع الإسلامي: 30

دور الإمام المنتظر عليه السلام في إيقاظ الأمّة: 32

المحاضرة الثانية: التكامل اليقيني لدي الإمام الحجة عليه السلام وضرورة الغيبة 33

اشارة 33

التكامل اليقيني لدي الإمام الحجة عليه السلام وضرورة الغيبة 35

اشارة 35

من براهين ضرورة الغيبة: 35

اشارة 35

البرهان الأوّل العام: 36

اشارة 36
السؤال الأوّل: ما معني التكامل اليقيني؟ 36
السؤال الثاني: هل أنّ الإمام خاضع للتكامل اليقيني؟ 38
التكامل اليقيني لدي الرسول صلي الله عليه وآله وسلم: 39
اشارة 39
السؤال الثالث: ما هو الربط بين تكامل درجة اليقين وبين الغيبة؟ 41
دور الإمام الحجة عليه السلام في إقامة العدالة التامّة: 42
البرهان الثاني الخاص: 44
الهدف من الدين الإسلامي: 44
النظام الإسلامي هو الحل: 45
اشارة 45
الأمر الأوّل: وجود الأرضية: 45
اشارة 45
العامل الأوّل: الانجذاب نحو الإسلام: 45
العامل الثاني: العولمة: 46
الأمر الثاني: حفظ الدين: 46
الإمام المهدي عليه السلام هو الحافظ لدين الله تعالي: 48
المحاضرة الثالثة: الغيبة وانسجامها مع الغرض الإلهي، والآثار المترتبة عليها 51
اشارة 51
الغيبة وانسجامها مع الغرض الإلهي، والآثار المترتبة عليها 53
اشارة 53
النقطة الأولي: انسجام الغيبة مع الغرض الإلهي: 53
اشارة 53
شبهة نقض الغرض: 54
جواب الشبهة: 55

اشارة 55
الوجه الأوّل: الإمام عليه السلام شاهد علي أعمال الخلائق: 55
اشارة 55
الغرض من نصب الإمام أمران: 56
الأمر الأوّل: مسألة الشهادة علي أعمال الخلائق: 56
الإمام المنتظر عليه السلام هو الحافظ للدين: 57
الأمر الثاني: أن المترتّب علي نصب الإمام عليه السلام هو حفظ الدين: 57
كيف يحفظ الدين؟ 57
الوجه الثاني: الغيبة عمل بشري لا سماوي: 61
النقطة الثانية: الآثار الروحية المترتبة علي الغيبة: 64
اشارة 64
الأثر الأوّل: اندفاع الأمّة للتهيؤ والإعداد: 64
الأثر الثاني: الاستعداد للقاء الإمام المنتظر عليه السلام: 65
اشارة 65
المقدمة الأولي: الغيبة العنوانية والغيبة الشخصية: 65
المقدمة الثانية: إمكانية الارتباط بالإمام عليه السلام: 66
الأثر الثالث: تقوية العلاقة القلبية بيننا وبين الإمام عليه السلام: 68
المحاضرة الرابعة: غيبة الإمام المهدي عليه السلام في ضوء حديث الثقلين 71
اشارة 71
غيبة الإمام المهدي عليه السلام في ضوء حديث الثقلين 73
اشارة 73
النقطة الأولي: إثبات حضوره وغيبته: 73
اشارة 73
التاريخ والأحاديث النبوية يؤيّدان ولادته عليه السلام: 75
النقطة الثانية: التجربة وضرورتها للإمام عليه السلام: 78

اشارة 78
الفرق بين العلم والخبرة: 81
رأي صاحب الميزان قدس سره في الدرايتين النظرية والتفصيلية: 82
عرض الأعمال علي الإمام عليه السلام: 83
النقطة الثالثة: كيف نتفاعل مع الإمام وهو غائب؟ 83
اشارة 83
الأمر الأوّل: الإحساس برقابته: 83
الأمر الثاني: تسديد الإمام للشيعة: 84
الأمر الثالث: رؤية الإمام: 85
اشارة 85
كيفية رؤية الإمام عليه السلام: 86
المحاضرة الخامسة: مميزات دولة الإمام المهدي عليه السلام والاستعداد لها 89
اشارة 89
مميزات دولة الإمام المهدي عليه السلام والاستعداد لها 91
اشارة 91
النقطة الأولي: مميزات دولة الإمام المهدي عليه السلام: 91
اشارة 91
المفردة الأولي: معني البعث: 92
اشارة 92
تزاوج العلوم في دولة الإمام المهدي عليه السلام: 93
المفردة الثانية: كيف يملأ الإمام عليه السلام الأرض قسطاً وعدلاً؟ 95
اشارة 95
الفرق بين القسط والعدل، وبين الظلم الجور: 96
علاقات الإنسان الثلاث: 98
الإنسان واستثمار الطبيعة: 99

العدالتان القانونية والشخصية: 101
المفردة الثالثة: كيفية نشر القسط والعدل في أرجاء الأرض وبقاعها؟ 101
العناصر الثلاثة المحققة لنجاح العدالة: 104
اشارة 104
العنصر الأوّل: العنصر الإعلامي: 104
العنصر الثاني: العنصر التربوي: 104
العنصر الثالث: العنصر الثقافي: 104
المحاضرة السادسة: العدالة ودولة الإمام المهدي عليه السلام 107
اشارة 107
العدالة ودولة الإمام المهدي عليه السلام 109
اشارة 109
المحور الأوّل: العدالة: 109
اشارة 109
العنصر الأوّل: التساوي في الخلق: 109
العنصر الثاني: الموازنة بين حقوق الفرد والمجتمع: 111
العقل الخاص والعقل اللغوي: 112
تطبيق العدالة علي الأرض: 114
الإرهاصات العامة والخاصة للغيبة: 115
تمهيد الإمام الحسن العسكري عليه السلام للحجة عليه السلام: 117
الإرهاص الثاني: وجود الإمام الحسن العسكري عليه السلام: 117
الإرهاصات الخاصة: 120
الإعلان العام والخاص عن الإمام المهدي عليه السلام: 121
سبب ارتباطه بعيسي عليه السلام: 124
المحاضرة السابعة: شبهات حول الإمام المهدي عليه السلام 127
اشارة 127

شبهات حول الإمام المهدي عليه السلام ---------- 129
اشارة ---------- 129
الشبهة الأولي: حول ولادة الإمام المهدي عليه السلام: ---------- 129
النوّاب الأربعة ومكانتهم لدي الشيعة: ---------- 131
الملاحظة الثانية: ما هو الميزان في كون الخبر صحيحاً سنداً؟ ---------- 132
الملاحظة الثالثة: الردّ علي إشكالية بعض روايات الكافي: ---------- 133
الملاحظة الرابعة: إثبات وجود الإمام عقلائياً: ---------- 135
إثبات وجود الإمام بالنصّ: ---------- 136
ولادة الإمام عليه السلام من كتب أهل السُنّة: ---------- 138
مصادر التحقيق ---------- 143
تعريف مركز ---------- 147

آفاق مهدوية : محاضرات حول الإمام المهدي عليه السلام

اشارة

آفاق مهدوية : محاضرات حول الإمام المهدي عليه السلام

تأليف: السيد منير الخبّاز

إعداد وتقديم وتحقيق: مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي عليه السلام – النجف الأشرف

ص: 1

اشارة

مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي عليه السلام

النجف الأشرف - شارع السور- قرب جبل الحويش

هاتف: 218318و 372011، النقال: 07804754535

ص.ب 588

www.m-mahdi.com

info@m-mahdi.com

****

آفاق مهدوية محاضرات حول الامام المهدي عليه السلام

السيد منير الخبّاز

إعداد وتقديم وتحقيق

مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي عليه السلام

الطبعة الأولي: 1429ه

عدد النسخ: 3000

رقم الإصدار: 95

النجف الأشرف

جميع الحقوق محفوظة للمركز

بسم الله الرحمن الرحيم

اللّهُمّ كُنْ لِوَلِيّكَ الحُجَهِ بنِ الحَسَن. صَ لَواتُكَ علَيهِ و عَلي آبائِهِ فِي هَذِهِ السّاعَهِ وَ فِي كُلِّ سَاعَهٍ وَلِيّاً وَ حَافِظاً وَ قَائِداً وَ نَاصِراً وَ دَلِيلًا وَ عَيْناً حَتّي تُسْكِنَهُ أَرْضَكَ طَوْعاً وَ تُمَتعَهُ فِيهَا طَوِيلا»

ص: 4

مقدمة المركز:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علي خير خلقه وخاتم رسله وعلي آله الطيبين الطاهرين...

أمّا بعد:

شاءت القدرة الإلهيّة أن تضع بإزاء كل حقّ باطلاً يتناسب معه بالقوّة والاستطالة ويوازيه من حيث الاتجاه والمسيرة التأريخية، فكان ذلك من القوانين والسنن الثابتة التي ابتنت عليها أسس الخليقة منذ نشأتها الأولي، والتي رسمت للدنيا إطارها الذي لا تملك أن تخرج عن حدوده.

وهذا هو ذات الأمر الذي أشارت إليه الآية المباركة في قوله تعالي: (أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ)(1)، إذ أنّ التتبّع الواعي لكل مسيرة أو حركة تنتسب إلي الحق في منهجيتها يبرهن لنا أنّ مسيرة الباطل وحركته لم تتخلّ يوماً عن ملازمة حركات الإصلاح والتحرّر والسير الحثيث بموازاتها، منذ اليوم الأوّل الذي وقف فيه أبونا آدم ليعبد الله الواحد القهّار، ومروراً بما يحدّثنا التأريخ عن قابيل وهابيل والأنبياء والمصلحين، وإلي يومنا الذي نعيشه.

ولعلَّ من أوضح الأفكار والرؤي التي تنتسب إلي الحق ونهجه

1- العنكبوت: 2.

القويم، بل وينتسب الحق إليها، هي الفكرة العقائدية الربّانية المقدّسة التي زرعتها الشرائع السماوية المتعاقبة في حقل الذهن البشري من خلال المسيرة التكاملية للأنبياء والرسل والأوصياء، وهي فكرة المنقذ الذي سيمدّ يده التي باركتها قدرة السماء لتنتشل البشرية من الأودية السحيقة للظلم والجور إلي مرابع القسط والعدل الإلهي، والتي ستحقق الأحلام والآمال التي بذل الأنبياء والمصلحون دماءهم زهيدة في سبيل تحقيقها، ساعين بذلك لجذب الدنيا من بؤر الظلم والفساد والعبودية إلي آفاق الحرية والعيش الرغيد.

فخضعت هذه العقيدة المقدّسة لهذه القوانين الثابتة وتعرضت لشتي أنواع المحاربة علي مرّ العصور، فكانت هذه المحاربة متناسبة مع عظم الأهمية والسمو والرفعة التي أولتها السماء لها.

وبما أنّ أهميّة الدفاع عن هذه العقيدة تنبع من طرفين أوّلهما مقدار عظمة هذه الفكرة من حيث ارتباطها بمبدأ العقيدة الإسلاميّة التي عبّر عنها النبي الأكرم صلي الله عليه وآله وسلم في قوله: (من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية)(1)، وثانيهما مقدار ما يبذله الأعداء من جهود لم يعرف لها مثيل من تسخير كافة الطاقات لإظهارها علي أنها العامل الخرافي الذي يتشبث به أناس ناموا علي أمل أن يجدوا العالم ذات يوم يحقق لهم آمالهم وأحلامهم التي كبتها ظلم الظالمين مدّة مديدة من الزمن العسير.

1- الكافي 1: 376/ باب 1/ ح 1 - 4؛ المحاسن للبرقي 1: 92/ ح 46؛ كمال الدين: 409/ ح 9؛ الإيضاح لابن شاذان: 75؛ مجمع الزوائد 5: 224؛ مسند أبي داوود: 259؛ كنز العمال 1: 203/ ح 464؛ وفي صحيح مسلم 6: 22، والسنن الكبري للبيهقي 8 : 156 بلفظ: (من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية)...

لذلك وجدنا أنفسنا _ في خضم هذه الظروف والمداخلات _ نتحمل عبئاً كبيراً وجزءً غير يسير من المسؤولية الملقاة علي عاتق المجتمع الصالح من أتباع أهل البيت عليهم السلام في الدفاع عن هذا المبدأ المقدّس الذي يعتبر أس العقيدة وأساس المذهب.

علي أنّ كثرة المدافعين من العلماء الأعلام وذوي الأقلام الشريفة علي مرّ الدهور لا تغني عن الاستمرار في انتهاج سبيل الذود عن هذه العقيدة المقدّسة، إذ أنّ الشبهات _ وإن تكررت بصيغ مختلفة _ تحتاج إلي ردود تتناسب والطريقة التي يتبناها أعداء الحق والأساليب التي يسلكونها والطرق الملتوية التي يتبعونها في توجيه سهام الحقد الأسود للصورة الناصعة لهذه العقيدة المقدّسة.

ومركزنا الذي أنشئ بعد الاستشارة والمداولة مع ثلة من العلماء الأعلام وفضلاء الحوزة العلمية المباركة، ومباركة من المرجع الديني الأعلي سماحة آية الله العظمي السيد علي الحسيني السيستاني دام ظله، يجد أنّ واجبه الأوّل هو بذل الجهد للدفاع عن سيدنا ومولانا صاحب الزمان عليه السلام.

فتبنّي هذا المركز مجموعة من المحاور في عمله منها:

1 _ طباعة ونشر الكتب المختصّة بالإمام المهدي عليه السلام، بعد تحقيقها، وذلك ضمن سلسلة وسمناها ب- (سلسلة اعرف إمامك).

2 _ نشر المحاضرات المختصّة به عليه السلام من خلال تسجليها وطبعها وتوزيعها، ضمن سلسلة (محاضرات في الإمام المهدي عليه السلام).

3 _ إقامة الندوات العلمية التخصصية في الإمام عليه السلام، ونشرها من خلال التسجيل الصوتي والصوري وطبعها وتوزيعها في كتيّبات ضمن (سلسلة الندوات المهدوية)، أو من خلال وسائل الإعلام وشبكة الانترنيت.

4 _ إصدار مجلّة فصلية تخصّصية باسم (الانتظار).

5 _ العمل في المجال الإعلامي بكل ما نتمكّن عليه من وسائل مرئية ومسموعة، بما فيها شبكة الانترنت العالمية من خلال الصفحة الخاصّة بالمركز.

6 _ نشر كل ما من شأنه توثيق الارتباط بين الأجيال الجديدة وإمامهم المنتظر عليه السلام، وذلك من خلال القصص والكتب التي تتناسب مع أعمارهم.

7 _ الاهتمام بنشر التراث المختص بالإمام المهدي عليه السلام، ضمن (سلسلة التراث المهدوي).

وها نحن عزيزي القارئ الكريم نضع بين يديك هذا الكتاب الذي يحمل بين طياته المحاضرات الفكرية المختصّة بالإمام المنتظر عليه السلام، بعد جمعها وإعدادها، ثمّ تحقيقها واستخراج المصادر والمنابع التي اعتمد عليها السيد المحاضر، بالصورة التي توثّق المعلومات الواردة فيها، ثمّ مراجعتها وإخراجها بهذه الحلّة التي نسأل الباري عز وجل أن يجعلها محط قبولكم ورضاكم، وأن يجعل هذا العمل مرضياً عند إمام زماننا الذي يعيش بين أظهرنا ويتفقد أحوالنا ويعلم بكل سرائرنا.

إنه نعم المولي ونعم المجيب.

مدير المركز

السيد محمّد القبانچي

المحاضرة الأولي: الإمام المهدي عليه السلام والدور الرسالي تجاه المجتمع البشري

اشارة

ص: 9

الإمام المهدي عليه السلام والدور الرسالي تجاه المجتمع البشري

اشارة

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَي الَّذينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ)(1).

من المعلوم أن الهـدف من ظهور الإمام المنتظر عليه السـلام هو إقامة الحضارة الكونيّة، وتحقيق العدالة التامّة علي الأرض. أما الهدف من بقائه العمر الطويل إلي حين ظهوره، فهو حفظ الدين عن التحريف لحين قيام دولته الخاتميّة المباركة، والتي تكمن خصائصها في الحديث الوارد عن النبي صلي الله عليه وآله وسلم: (لو لم يبقَ من الدنيا إلاّ يوم واحد لطوَّل الله ذلك اليوم حتّي يخرج رجلاً من ولدي ـ أو من أهل بيتي، أو منّي ـ، يواطئ اسمه اسمي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما مُلِئَت ظلماً وجوراً)(2).

لكن هناك من يطرح هذا السؤال: ما هو الدور الذي يقوم به الإمام المنتظر عليه السـلام أثناء غيبته؟، منطلقاً من أن الإمامة هي منصب إلهي لا ـ بـدَّ معهـا من القيـام بـدور رسالي معيّن، فإذا لم يكن الشـخص قائماً به، فلا معني لكونه إماماً؛ لأن الإمامـة مساويـةٌ للقيام به، فإذا كان الشخص غير قادر علي أن يقوم بأيّ دور

1- القصص: 5.

2- رواه جمهور العامـة والخاصة بتفاوت في اللفظ، والمعني واحد، راجع: روضة الواعظين: 261؛ الإرشاد 2: 240؛ غيبة الطوسي: 425/ 410؛ مسند أحمد 1: 99؛ سنن ابن ماجة 2: 929؛ سنن أبي داود 2: 309؛ سنن الترمذي 53: 343.

رسالي، فما الفائدة من جعله إماماً؟ وما المبرر لبقائه مئات السنين دون أن يقوم بأيّ دور تجاه المجتمع البشري؟

ربما يقول قائل: إنّ جعل الإمام الغائب إماماً لغو، واللغو لا يصدر من الحكيم تبارك وتعالي؛ لأن اللغو قبيح، فلماذا يجعله الله تعالي إماماً هـذه المئـات من السـنين، مع أنه لا يقوم بأيّ دور رسالي ينسـجم ويتلائم مع منصب الإمامـة وموقعها؟ وإذا كان الإمام في غيبته يضـطلع بأعباء دور معيّن، فأين نحن من هذا الدور؟ وما هو ربطنا ومساهمتنا ومشاركتنا في تجسيد هذا الدور وتحقيقه؟

هناك نظريتان تجيبان علي السؤال الأوّل.

نظريتان حول دور الإمام المهدي عليه السلام في غيبته:

النظرية الأولي: أن الدور الذي يقوم به الإمام المنتظر القائم عليه السلام هو عبارة عن الهداية الأمريّة.

النظرية الثانية: أن الدور الذي يضطلع الإمام عليه السلام به أثناء غيبته هو حفظ الدين من التحريف والتزوير.

النظرية الأولي: التي ربما تُنتَزع وتُسـتَخرج من كلمات صاحب (الميزان) للسـيد الطباطبائي قدس سره، ومن أجل أن نشرح هذه النظرية لا بدَّ أن نذكر أمرين:

الأـمر الأـوّل:أن هنـاك فرقاً بين عالم الخَلْق وعالم الأمر، فالقرآن الكريم تحـدّث عن عالمين عنـدما قال: (أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ)(1)، فهناك عالم خَلْق، وعالم أمر. فما هو الفرق بين الخَلْق والأمر؟ إنّ إفاضة الوجود من قِبَله

1- الأعراف: 54.

تبارك وتعالي إذا كانت إفاضة تعتمد علي مادّة ومدّة، فهذه الإفاضة تُسمّي خَلْقاً، وأما إذا كانت إفاضة لا تعتمد علي مادّة ولا علي مدّة، بل أن المُفاض يتحقق بنفس الإفاضة، فهذا ما نُسمّيه بالأمر، مثلاً الجنين في بطن أُمّه، قال تعالي: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طينٍ * ثُمَّ جَعَلْناهُ نُطْفَةً في قَرارٍ مَكينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظاماً)(1)، فهذا الوجود الذي قد أفاضه الله في مادّة ومدّة يُسمّي خَلْقاً. (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طينٍ)(2)، (أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسانُ أَنَّا خَلَقْناهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذا هُوَ خَصيمٌ مُبينٌ)(3)، أي أفضنا هذا الوجود عليه إفاضة تدريجيّة تعتمد علي المادّة والمدّة.

أما إذا كانت إفاضة الوجود إفاضةً دفعية لا تعتمد علي مادة ولا علي مدّة، فيتحقق الوجود وينسبغ نوره بمجرد الإفاضة من دون واسطة مادة ولا مدّة، فهذا ما يُسمّي بالأمر، مثل قوله تعالي عندما يتحدّث عن الروح البشرية الإنسانية: (وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي)(4)، ليبيّن لنا أن وجود الروح يختلف عن وجود الجسد، فوجود الجسد وجود ضمن مادة ومدّة، أما وجود الروح فهو وجود دفعي لا يستند لمادة

1- المؤمنون: 12 - 14.

2- المؤمنون: 12.

3- يس: 77.

4- الإسراء: 85.

ومـدّة، فوجود الروح يُسـمّي بعالم الأمر، وهو يختلف عن وجود الجسـد الـذي يُسـمّي ب- (عالم الخلق)، ولذلك فالآيات القرآنية عندما تتحـدّث عن عالم الأمر، فـذلك يعني عالم الإفاضـة الـذي لا يسـتند لمادة ولا مدّة تتحدّث عنه بشـكل دفعي، كقوله تعالي: (وَما أَمْرُنا إِلاَّ واحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ)(1)، وهو إشـارة إلي دفعيـة الوجود الأمري، وتدريجيـة الوجود الخَلْقي، فهـذا هو الفرق بين عالم الخَلْق وعالم الأمر الذي تحدَّثت عنه الآية القرآنية، كما يري صاحب الميزان قدس سره(2).

وربما يُناقَش كلامه قـدس سـره: بأن الأمر في القرآن ليس كـذلك، فكلمـة الأمر في القرآن تُطلق علي عِدّة معاني، ومن المعاني التي تُطلق عليهـا هو الإرادة والمشـيئة الإلهيـة، كما في قوله تعالي: (وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ)(3)، يعني بمشـيئته، وكمـا في قوله تعالي: (الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّراتٍ بِأَمْرِهِ)(4)، يعني بـإرادته ومشـيئته تبـارك وتعـالي، فالأـمر بمعني الإرادة والمشـيئة، وربما يُطلق الأمر في القرآن الكريم بمعني التـدبير، كقوله تبارك وتعالي: (يُـدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّماءِ إِلَي الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ في يَوْمٍ كانَ مِقْـدارُهُ أَلْفَ سَـنَةٍ مِمَّا تَعُـدُّونَ)(5)، يُدبّر الأمر، أي: يُـدبّر أمر الوجود وشأنه، فالأمر أحياناً قـد يُطلق في القرآن الكريم ويراد به النظام، من مسـيرة، وحركـة، فإذا كان الأمر يُطلق علي تلـك المعاني، فمن أين فَهِمْنا أن الأمر في قوله تعالي: (أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ)(6) هو الوجود الأمري، أي: الوجود الفعلي الذي لا يستند إلي مادّة ولا إلي مدّة؟ فلعلَّ المقصود في الآية المباركة

1- القمر: 50.

2- راجع: تفسير الميزان 8 : 150 - 172.

3- الروم: 46.

4- الأعراف: 54.

5- السجدة: 5.

6- الأعراف: 54.

هو تكفّل الخَلْق وتـدبيره، وإدارة حركة الوجود ومسـيرته، أي: كما إن من شأنه تبارك وتعالي خلق هذه الموجودات وإفاضة هذه الوجودات، فمن شأنه أيضاً إدارة هـذا الوجود وتـدبيره، كما في قول تعالي: (يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّماءِ إِلَي الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ في يَوْمٍ كانَ مِقْدارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ).(1)

الفرق بين تأثير الخالق والمخلوق في التدبير:

إن تأثير المخلوق يختلف عن تأثير الخالق؛ لأن تأثيره مُزاحَم بالموانع والعوائق، مثلاً إذا أراد المخلوق أن يوجد فعلاً من الأفعال، ربما يكون فعله معاقـاً، فلاـ يُمكنه تحقيق فعله، بينمـا تـأثير الخـالق غير مُزاحَم بـالموانع والعوائق، فمتي ما جرت مشـيئته وإرادته تحقق مراده، فإرادته ومشـيئته الفعليـة ليست مُزاحَمـة بالعوائق والموانع، فالله تبارك وتعالي أراد أن يُفرّق بين تأثير المخلوق الـذي هو مُزاحَم بالعوائق وبين تأثير الخالق الذي لا يمكن أن يقهره مانع من الموانع، فقال: (وَما أَمْرُنا إِلاَّ واحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ)(2)، أي إن تأثيرنا لا يقهره قاهر، ولا يمنعه مانع، فهو تأثير كلمح البصـر، من دون أن يُقهر أو يُغلب تحت مانع أو تحت عائق معين، وليس في هذا إشارة إلي الوجود الدفعي الذي لا يسـتند إلي مـادّة ولاـ إلي مـدّة إنمـا هو إشـارة للفرق بين تـأثير المخلوق وتـأثير الخالق، كما في قوله تعالي: (إِنَّما أَمْرُهُ إِذا أَرادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)(3)، يعني أن تأثيره لا

1- السجدة: 5.

2- القمر: 50.

3- يس: 82.

يتخلّف ولا يُقهر، كما في قوله: (وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذا جاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ ساعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ)(1)، فهذا تأثير إلهي.

إذن، ليس هناك قرينة علي أن المراد بالأمر في الآيات المباركات هو عالم الأمر، أي عالم الوجود الدفعي الذي لا يستند إلي مادة وإلي مدّة، ولذلك نري القرآن الكريم كما عبّر عن الروح بالأمر، عبر أيضاً عن الروح بالخلق، مثلاً في قوله تعالي: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طينٍ * ثُمَّ جَعَلْناهُ نُطْفَةً في قَرارٍ مَكينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظاماً فَكَسَوْنَا الْعِظامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْناهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخالِقينَ)(2)، والخلق الآخر هو الروح العاقلة إذن كما عبّر عن الروح بالأمر في بعض الآيات، فقد عبّر عنه بالخلق في آيات أخري، فمن أين قلنا: إن هناك عالم خلق وعالم أمر؟ وهذا وجود تدريجي، وذلك وجود فعلي، مع أن القرآن عبّر عن هذا الأمر أيضاً بالخلق كما عبر عنه بالأمر.

وحينئذٍ يمكن أن يقال بأن المقصود من الأمر في قوله تعالي: (وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَما أُوتيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَليلاً)(3)، هو الشأن، كما في قوله تعالي: (وَما أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشيدٍ)(4)، (برشيد) أي إن شأنه ليس شأناً رشيداً، أيضاً هنا الروح شأن الخالق وليس شأن المخلوق، فليس المراد بالأمر في الآية المباركة هو عالم الأمر الذي يعني الوجود الدفعي الذي لا يستند لمادة ولا مدّة.

1- الأعراف: 34

2- المؤمنون: 12 - 14.

3- الإسراء: 85.

4- هود: 97.

رأي صاحب الميزان قدس سره:

الأمر الثاني:

إن السيد الطباطبائي قدس سره ذكر في (الميزان)(1): أن الإمامة مساوقة للهداية الأمرية، حيث يتميّز الإمام عن غيره بأن من خصائصه ومميزاته التي تفصله عن غيره الهداية الأمرية، استناداً إلي قوله تعالي: (وَجَعَلْنا مِنْهُم أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا)(2)، وقوله في آية أخري: (وَجَعَلْناهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا وَأَوْحَيْنا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْراتِ)(3)، فالإمام من يهدي بالأمر، يعني أن الإمامة مساوقة للهداية الأمرية، ومعناها: التأثير المباشر في النفس.

فلقد ذكرنا في البحث الأوّل أنه يفرق بين عالم الخلق وعالم الأمر، أن عالم الخلق يعني عالم الأجساد، وعالم الأمر يعني عالم الأرواح، فالهداية الأمرية تعني هداية الروح، وتأثير الإمام في الطرف المقابل تأثيراً روحياً مباشراً.

مثلاً نفترض أن الإمام الحجة عليه السلام يمرُّ عليك وأنت لا تتعرف عليه، فيفيض علي قلبك رشحةً من شعاعه ورشحة من فيض نوره، فإذا أفاض عليك شعاعاً من شعاعه، ورشحة من فيض أمره كان ذلك هداية أمرية، أي إن الإمام يتحدّث مع روحك بشكل مباشر، ويتحدّث مع نفسك بشكل مباشر، وهذا الحديث هو إفاضة نور وإفاضة هداية أمرية.

فالإفاضة الأمرية من مميزات الإمامة وخصائصها، فالإمام من يتّسم بالهداية الأمرية، ومن تكون له الولاية والقدرة علي بثّ نور

1- للتفصيل راجع: تفسير الميزان 14: 304.

2- السجدة: 24.

3- الأنبياء: 73.

الهدايـة وشـعاعها في النفوس والأرواح. إذن، بما أن الإمامة مساوقة للهداية الأمرية، فلا ينبغي أن نسأل ما هو دور الإمام الحجة وهو غائب، ولا وجه للقول بأن الإمامة تعني القيام بالدور الرسالي، فإذا لم يكن للإمام الغائب دور رسالي فبعثه لغو.

الهداية الأمرية ودور الإمام فيها:

إن الإمامـة تعني الهدايـة الأمرية ولا تعني القيام بالدور الرسالي، فقد لا يتمكّن الإمام من أيّ دور رسالي، مثلاً الإمام الكاظم عليه السـلام سُجن سـنين عديدة، ولم يكن متمكّناً من القيام بدور رسالي؛ لأنه سـجين، فهل هذا يعني أن إمامته ارتفعت بمجرد أن دخل السجن؟ أو أن الإمام علياً عليه السـلام جلس خمساً وعشـرين سـنة في داره يعلّم بعض العارفين وبعض الظامئين للعلم والمعرفـة ولم يكن له دور رسالي واضح، فهل معني ذلك أنه ارتفعت إمامته لأنه ليس له دور رسالي بارز؟

لا، الإمامة لا تساوق القيام بالدور الاجتماعي؛ لأنه مرهون بظروفه، فقد يتمكّن الإمام وقد لا يتمكّن، كما ورد عن الإمام علي عليه السلام: (لاـ تخلو الأـرض من قائم لله بحجـة، إما ظاهراً مشـهوراً، أو خائفاً مغموراً، لئلاّ تبطل حجـج الله وبيناته)(1)، فهو حجّـة، وإنْ كان خائفاً مغموراً، فالإمامة لا تعني القيام بالدور الاجتماعي، وإنما تعني الهداية.

إن دور الإمام وهو غائب هو بثّ نور الهداية في النفس المصـطفاة المجتباة، فمتي ما رأي نفساً مُعَدّة وكفوءة أفاض عليها عليه السلام الهداية الأمرية.

1- نهج البلاغة 4: 37/ رقم 147.

نعم لقد استفدنا من الروايات أن من مميّزات الإمام الإطلاع علي عالم الملكوت، ومن مميّزاته أيضاً الهداية الأمرية، ولكن البحث في أنه هل استفدنا ذلك من القرآن الكريم من قوله تعالي: (وَجَعَلْناهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا)(1)، أم أنه مستفاد من النصوص الأخري؟ وهنا موضع المناقشة مع كلام السيد قدس سره.

فقد يقال في مقابل هذا الرأي المطروح: أن لا علاقة لهذه الآية بمسألة الهداية الأمرية، لماذا؟ لأن كلمة الأمر في القرآن كما ذكرنا قد استُعمِلت بمعاني متعددة، ومن جملة معاني الأمر: الدين. فإن الدين السماوي عبّر عنه بالأمر، ومن قراءة بعض الآيات يتّضح من خلالها أنّ القرآن يعبّر بكلمة الأمر ويريد به الدين والرسالة، كقوله تعالي: (وَما كُنْتَ بِجانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنا إِلي مُوسَي الْأَمْرَ)(2)، وما الأمر الذي قضي إلي موسي عليه السلام؟ هل هو الهداية الأمرية؟ لا، إنما قُضي لموسي الدين، أي أنزل عليه الدين السماوي ابتداءً من ذلك اليوم، فالأمر هو عبارة عن الدين السماوي، كقوله تعالي يتحدّث عن بني إسرائيل: (وَلَقَدْ آتَيْنا بَنِي إِسْرائِيلَ الْكِتابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ)(3)، ثمّ يقول: (وَآتَيْناهُمْ بَيِّناتٍ مِنَ الْأَمْرِ)(4)، وما معني بيّنات من الأمر؟ معناه من الدين، فكما أرسلنا لهم كتاباً يتحدّث عن الدين، وكما بعثنا أنبياءً وملوكاً وحكّاماً، فقد آتيناهم بيّنات، أي آيات ومعاجز وحججاً واضحة علي أحقّية الدين وأهميته،

1- الأنبياء: 73.

2- القصص: 44.

3- الجاثية: 16.

4- الجاثية: 17.

(فَمَا اخْتَلَفُوا إِلاّ مِنْ بَعْدِ ما جاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ فيما كانُوا فيهِ يَخْتَلِفُونَ)(1)، ثمّ يخاطب النبي محمّداً صلي الله عليه وآله وسلم: (ثُمَّ جَعَلْناكَ عَلي شَريعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْها وَلا تَتَّبِعْ أَهْواءَ الَّذينَ لا يَعْلَمُونَ)(2)، ما الشريعة من الأمر؟ يعني الشريعة من الدين، فالدين كما له جنبة فكرية فله جنبة تشريعية، وهي الأعمال والعبادات، والشريعة هي الأعمال التطبيقية والوظائف التي يمارسها المتدينون.

إذن، إذا كان الأمر في القرآن الكريم يُطلق علي الدين السماوي وعلي الرسالة السماوية، فحينئذٍ يُمكن أن تكون هذه الآية ناظرة للرسالة، (وَجَعَلْناهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا)(3)، يعني يهدون بواسطة ديننا ورسالتنا، لا أن المراد بالأمر في هذه الآية الهداية الأمرية، كما استفدناها من الروايات الشريفة.

إذن، بناءً علي ذلك ننطلق إلي النظرية الثانية القائلة بأن الدور الذي يقوم به الإمام المهدي عليه السلام وهو غائب هو حفظ الدين عن التحريف والتزوير.

المستشرقون والغزو الفكري للمجتمع الإسلامي:

ذكرت مجلة (عالم الفكر): أن أكثر من -200- ألف مستشرق غزوا الشرق الأوسط في مدة -200- سنة، فدخلوا المكاتب والمساجد والقاعات، وسمعوا العلماء والمحاضرين، ودرسوا المجتمع الإسلامي

1- الآية السابقة.

2- الجاثية: 18.

3- الأنبياء: 73.

والعوامل المؤثّرة في قوّته وضعفه، ودرسوا الفكر الإسلامي دراسة دقيقة؛ ليتعرفوا علي المناطق التي من خلالها يمكن العبور والنفوذ، ثمّ كتبوا تقاريرَ لحكوماتهم ولسلطاتهم عن هذا المجتمع الإسلامي وعن الشرق الأوسط، وبالتالي بدأت الخطة للغزو الفكري منذ أكثر من مئة سنة إلي هذا المجتمع، حيث بدأ الغزو الفكري بتشكيك المسلمين في أصول وجذور فكرهم الإسلامي، فحاول المستشرقون والكثير من المبشّرين أن يخضعوا هذا الدين إلي موجة من التحريف والتزوير كما فعلوا في التوراة والإنجيل، وما زالت خططهم ومكائدهم وإستراتيجياتهم للغزو الفكري تركّز علي تشكيك المسلمين في دينهم من خلال محاولة تحريف بعض الآيات، وتزوير بعض الأحاديث وبعض المفاهيم الدينية، ومن خلال بثّ بعض الشائعات والمغالطات وبعض المفاهيم الخاطئة، حيث يحاولون بين فينة وأخري وبين حين وآخر أن يهزّوا هذا الدين من جذوره؛ لكي يخضعوه إلي التزوير والتحريف والتغيير كما صنعوا مع التوراة والإنجيل، إذن من يقف أمام هذه المكائد الخفية، والمسلمون في سبات عميق لاهون بمعاشهم وبلقمة الخبز وتحصيل لقمة العيش؟ إن الكثير من المسلمين اليوم يفكّر في ترفه وفي جوانبه المادية، وكيف يحصل علي الراتب الوفير، وكيف يركب السيارة الفارهة، وكيف يعيش في (الفيلا) الفخمة، وكيف ينام علي الوسادة الناعمة!.

المسلمون يعيشون في أوحال الترف، وغيرهم يخطّط كيف يغزو دينهم، وكيف يهزّه من جذوره وأصوله، لذلك فهذه المخططات الخفية تحتاج إلي يقظة من قِبَل المسلمين، ووعي وتركيز والتفات لتلك الخطورة.

ص: 21

دور الإمام المنتظر عليه السلام في إيقاظ الأمّة:

وهناك شخص دوره إنارة المسلمين وإيقاظهم بين فترة وأخري، وتحريك علمائهم، وتحريك مصادر القرار والرأي عند المسلمين، من أجل أن يلتفت المسلمون وأن يستيقظوا لأيّ عملية تزوير وتحريف وتغيير، وهذا الشخص الذي يقوم بهذا الدور الرسالي الكبير _ ألا وهو إيقاظ العلماء وتنبيههم علي محاولات التشويه والتزوير والتحريف للحقائق والعقائد والمفاهيم الإسلاميّة _ هو المهدي المنتظر عليه السلام، ولذلك ورد عن الرسول صلي الله عليه وآله وسلم عند الفريقين قوله: (إن في كل خلف من أمّتي عدلاً من أهل بيتي ينفي عن هذا الدين تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، وإن أئمّتكم قادتكم إلي الله عز وجل، فانظروا بمن تقتدون في دينكم وصلاتكم)(1)، وما مرَّ زمن علي الأئمّة الإسلاميّة إلاّ ويهيّئ الله مجموعة من العلماء يأخذون علي عاتقهم مواجهة الضالين وأهل البِدَع، وتنبيه الأمّة الإسلاميّة علي التحريفات والتزويرات والمغالطات للمفاهيم الإسلاميّة التي قد تنفذ للأمّة من حيث لا تشعر، ومن حيث لا تلتفت، وأولئك العلماء كما ورد عن الرسول صلي الله عليه وآله وسلم ينتمون إلي الرسول، إما بالأب، أو بالأُمّ، وذلك عن طريق تأييد وتسديد وإيقاظ من الإمام المنتظر القائم عليه السلام، وهذه هي مسيرة أجداده الطاهرين، مسيرة حفظ الدين، ومسيرة إبقائه صورة ناصعةً بيضاء لا تنالها يد التحريف والتزوير، كما فعل آباؤه الطاهرون سلام الله عليهم أجمعين.

والحمد لله رب العالمين

1- راجع: كمال الدين: 221/ باب 22/ ح 7؛ ينابيع المودة 2: 388؛ شرح إحقاق الحق 18: 447.

المحاضرة الثانية: التكامل اليقيني لدي الإمام الحجة عليه السلام وضرورة الغيبة

اشارة

ص: 23

التكامل اليقيني لدي الإمام الحجة عليه السلام وضرورة الغيبة

اشارة

بسم الله الرحمن الرحيم

حديثنا عن ضـرورة غيبة الإمام عليه السلام، ولماذا اختلفت حياة الإمام الحجة عليه السلام عن حياة بقية أهل البيت عليهم السلام؟ ولماذا يظهره الله تعالي في آخر الزمان فيخرج ويقيم الحضارة الكونيـة أو العدالـة الأرضـية العامـة؟ ولماذا الغيبة؟ وُلِد قبل ألف ومائتي سـنة مثلاً ويعيش هـذه الفترة الطويلـة المسـمّاة بالغيبـة، ثمّ يظهر آخر الزمـان ويملأ الأـرض قسـطاً وعـدلاً كمـا مُلئت ظلمـاً وجوراً، كما ورد في الروايات(1)، لماذا لم يظهره الله آخر الزمان؟ ما هي ضرورة الغيبة؟

من براهين ضرورة الغيبة:

اشارة

هناك برهانان لضرورة الغيبة:

البرهان الأوّل: البرهان العام الذي لا يرتبط بالشيعة المؤمنين بخصائص الأئمّة عليهم السلام.

البرهان الثاني: وهو البرهان الخاص الذي يرتبط بالشيعة المؤمنين بخصائص أهل البيت عليهم السلام.

1- منها الحديث الوارد عن النبي صـلي الله عليه وآله وسـلم: (لو لم يبقَ من الدنيا إلاّ يوم واحد لطوَّل الله ذلك اليوم حتّي يخرج رجلاً من ولدي - أو من أهل بيتي، أو منّي -، يواطئ اسـمه اسمي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما مُلِئَت ظلماً وجوراً)، رواه جمهور العامة والخاصة بتفاوت في اللفظ والمعني واحـد، راجع: روضة الواعظين: 261؛ الإرشاد 2: 240؛ غيبة الطوسي: 425/ 410؛ مسند أحمد 1: 99؛ سنن ابن ماجة 2: 929؛ سنن أبي داود 2: 309؛ سنن الترمذي 3: 343.

البرهان الأوّل العام:

اشارة

نتحـدّث أوّلاً عن: البرهان العام، ما هو البرهان علي ضـرورة أن يعيش الإمام هـذا العمر الطويل كي يتمكّن من تحقيق العدالة التامة؟ وهنا نطرح ثلاثة أسئلة:

السؤال الأوّل: ما معني التكامل اليقيني؟

السؤال الثاني: هل الإمام خاضع للتكامل اليقيني أم لا؟

السؤال الثالث: ما هو الربط بين التكامل اليقيني وبين الغيبة؟

السؤال الأوّل: ما معني التكامل اليقيني؟

التكامل اليقيني يقسّمه الفلاسفة إلي ثلاثة أقسام: علم اليقين، وعين اليقين، وحق اليقين.

مثلاً إذا رأيت الدخان فسـتستيقن بوجود النار، إذ لولا وجود النار لما وُجِد الدخان، فتستدلّ علي المؤثر بأثره، فاليقين بوجود النار نتيجة رؤية الـدخان هو أوّل درجـة من درجات اليقين، وهـذا يُسـمّي ب- (علم اليقين)، وإذا مشـيت وراء الدخان إلي أن رأيت النار بعينيك، ألا يتأثر يقينك بوجود النار نتيجة رؤية الدخان؟ نعم، فدرجة اليقين اكتملت وازدادت وتحوّلت من علم اليقين إلي عين اليقين، فصارت عندك درجة أخري من اليقين. ولو أن شـخصاً قـد أسـقطك في النار وشـعرت بالحرارة النارية بحيث صارت الحرارة عن طريق الانصـهار، فدرجة اليقين تكاملت إلي أن وصـلت إلي أعلي درجة، وهي ما نُسـمّيها ب- (حق اليقين)، وهذا ما يذكره القرآن الكريم: (كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقين * لَتَرَوُنَّ

الْجَحيمَ)(1)، هـذه درجـة من درجات رؤية النار، (ثُمَّ لَتَرَوُنَّها عَيْنَ الْيَقينِ)(2)، أي درجـة أخري، فعنـدما يأتي يوم القيامة ويحسُّ الإنسان بحرارة النـار سـيستيقن بوجودهـا، فإذا رآها أمامه ازداد يقينه، فإذا أُلقي فيها ازداد يقينه إلي درجـة حق اليقين: (كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقينِ * لَتَرَوُنَّ الْجَحيمَ * ثُمَّ لَتَرَوُنَّهـا عَيْنَ الْيَقينِ)، فالتكامل اليقيني يعني أن الإنسان ينطلق من درجـة إلي درجـة أخري من درجات اليقين، وحتّي أُصور لك الموضوع بشكل أوضح، نأتي مثلاً إلي الرسول صلي الله عليه وآله وسلم، هل أن الرسول يتكامل يقينه؟

نحن نلاحـظ بعض الآيات القرآنيـة مثل قوله تعالي: (وَقالَ الَّذينَ كَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً كَذلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ وَرَتَّلْناهُ تَرْتيلاً)(3)، هل كان الرسول صلي الله عليه وآله وسلم يعيش حالة شكّ أو ارتياب؟ كلا، إذن فما معني (لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ)؟

إن مقصود ذلـك أن تصـل إلي أعلي درجات اليقين، وهي درجـة (حق اليقين)، مثلاً إذا فتحت كتاباً _ أيَّ كتاب كان _ يتحـدّث عن الإمام المنتظر عليه السـلام، وقرأت المعلومات المتعلقة به عليه السلام فقد أخذت المعلومات عن طريق القراءة، ثمّ بعد ذلك جئت إلي المسجد وسـمعت المحاضـرة، وكـانت المحاضـرة عن نفس المعلومـات التي قرأتهـا، فستزداد درجـة يقينك بهـذه المعلومات، ولو طُلب منك أيها الإنسان المثقف الذي سمع المعلومات وقرأها واستوعبها أن تشرحها للآخرين، فقمت بشرحها، فإن شرح المعلومات يزيد من يقينك بها.

1- التكاثر: 5 و6.

2- التكاثر: 7.

3- الفرقان: 32.

إذن فالمعلومة الواحدة عندما تقرؤها سيصير عندك يقين، ثمّ تسمعها فيزداد يقينك بها، ثمّ تشرحها فيزداد يقينك بها أكثر، إذ التعامل مع المعلومة تعامل تكاملي يدخل في إطار التكامل اليقيني، وهل يتصور هذا التكامل بالنسبة للمعصوم مثلاً أم لا؟ فالرسول الأعظم صلي الله عليه وآله وسلم منذ ولادته كان مطّلعاً وعالماً بجميع معارف القرآن، ولديه علومه، ثمّ نزل عليه جبرائيل عليه السلام وأسمعه هذه المعارف والعلوم، فصار التعامل مع المعلومة بشكل ثانٍ وهو السماع، أي إنه صلي الله عليه وآله وسلم كان يعرفها عن طريق الإلهام، ثمّ صار يعرفها عن طريق السماع، ثمّ أُمر بتبليغها وشرحها للآخرين، وقيامه بتبليغها وشرحها للآخرين أوجب وصوله إلي أعلي وأسمي درجات اليقين بهذه المعلومة، إذن التكامل اليقيني هو عبارة عن الانتقال من درجة إلي درجة أخري من درجات اليقين ولتوضيح الأمر أكثر نأتي إلي السؤال الثاني:

السؤال الثاني: هل أنّ الإمام خاضع للتكامل اليقيني؟

يعني هل الإمام فعلاً ينتقل من درجة من اليقين إلي درجة أخري أم لا؟

الجواب: إن المعصوم عليه السلام مع أنه في كل آن يمرُّ عليه هو أكمل الناس وأعلمهم إلاّ أنه مع ذلك يزداد في مقامه الملكوتي القربي من الله عز وجل بما يفاض عليه من العلم اللدني، فإن منازل المقام الشهودي بدرجات اللطف الخفي ودرجات الانكشاف الملكوتي، ففي معتبرة أبي بصير عن الإمام الصادق عليه السلام قال: (إنّا لنزاد في الليل والنهار، ولو لم نُزد لنفد ما عندنا)، قال أبو بصير: جُعِلت فداك، من يأتيكم به؟ قال: (إن منّا

من يعاين، وإن منّا لمن يُنقر في قلبه كيت وكيت، ومنّا من يسمع بأذنه وقعاً كوقع السلسلة في الطست)، فقلت له: من الذي يأتيكم بذلك؟ قال: (خَلق لله أعظم من جبرئيل وميكائيل)(1).

الإمام يذكر في هذه الرواية أن هناك حالة صعود وحالة تكامل يمرُّ بها الإمام عليه السلام، فيجب أن يكون أعلم من غيره، أي أعلم الخلق، وإلاّ لكان تقديمه علي الناس من باب تقديم المفضول علي الفاضل، وتقديم المفضول علي الفاضل قبيح لا يصدر من الله عز وجل، إن الله تعالي عندما جعل الحسن عليه السلام إماماً أو الحسين عليه السلام إماماً فلأنه هو أعلم الناس، وإلاّ لِمَ يجعله إماماً، فجعل الشخص إماماً من دون أن يكون أعلم الناس هو تقديم للمفضول علي الفاضل، وتقديم المفضول علي الفاضل قبيح.

إذن فالإمام أعلم الناس من أوّل الأمر، والتكامل ليس معناه أن المعلومة كانت مشوّشة ثمّ صارت واضحة فتمام المعلومات منكشفة له تمام الانكشاف، وإنما معناه تكامل المقام القربي من الله عز وجل بواسطة هذه المعلومات.

التكامل اليقيني لدي الرسول صلي الله عليه وآله وسلم:

اشارة

دعني أوضّح لك الأمر بالمثال أكثر، أنت تقرأ قوله تعالي: (وَكَذلِكَ أَوْحَيْنا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنا ما كُنْتَ تَدْري مَا الْكِتابُ وَلاَ الْإيمانُ وَلكِنْ جَعَلْناهُ نُوراً نَهْدي بِهِ مَنْ نَشاءُ مِنْ عِبادِنا)(2)، إن الرسول صلي الله عليه وآله وسلم كان يتعبّد في

1- بصائر الدرجات: 252/ باب 7/ ح 5؛ عنه: بحار الأنوار 18: 270.

2- الشوري: 52.

غـار حراء، وكـان علي ملّـة إبراهيم الخليل؟ فكيف يقول القرآن الكريم: (ما كُنْتَ تَـدْري مَا الْكِتابُ وَلاَ الْإيمانُ)، كيف يكون ذلك؟ ما هو الجواب عن هذه الآية؟ هل المراد بها أن الرسول كان جاهلاً وصار عالماً؟ أم أنه لم يكن مؤمناً وصار مؤمناً؟! أم ماذا؟

نقول: لو كان المراد بها ذلك لكان مناقضاً للآيات القرآنيـة الأخري، فعندنا آيات تُثبّت أن الرسول كان عالماً بالقرآن قبل نزوله، ومطّلعاً علي جميع معلومات القرآن تفصـيلاً قبل نزول القرآن عليه، مثلاً قوله تعالي: (وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضي إِلَيْكَ وَحْيُهُ)(1)، أي لا تخبر أحداً بالقرآن، هذا معناه أنه كان عارفاً بالقرآن، ولو لـم يكن عارفاً بالقرآن لما أُمر أن لا يبلّغ القرآن حتّي ينزل عليه الوحي من السـماء. أيضـاً قوله تعـالي في آيـة أخري: (لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ)(2)، معناها أن الرسول كان مطّلعاً علي معلومـات القرآن، ولكن تقسـيم القرآن إلي سور وإلي آيـات أمر نزل به جبرائيـل عليه، وإلاّ فجميع معلومات القرآن كانت عنـد النبي صلي الله عليه وآله وسلم، لكن تحوّل هذه المعلومات إلي آيات وإلي سور هو الذي نزل به جبرائيل عليه السلام، وهذا هو معني: (إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ)(3).

إذن، إذا كان الرسول عالماً بالقرآن من قبل أن ينزل، فما معني هذه الآية: (وَكَذلِكَ أَوْحَيْنا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنا ما كُنْتَ تَدْري مَا الْكِتابُ وَلاَ

1- طه: 114.

2- القيامة: 16 - 18.

3- القيامة: 17 - 19.

الْإيمانُ)(1)؟، معني هذه الآية هو نفي درايته بالكتاب والإيمان علي سبيل الاستقلال، فإن الدراية بالاستقلال من خواص البارئ عز وجل وإنما درايته بالاكتساب لا بالاستقلال، وهناك معني آخر وهو أن النبي صلي الله عليه وآله وسلم كان علي درجة من المقام القربي من الله تعالي فازدادت تلك الدرجة بعد نزول الوحي، وهذا هو ما قلناه إنه صلي الله عليه وآله وسلم كان علي درجة من اليقين، ثمّ بالقرآن وبنزوله تكاملت درجة اليقين، وهذا ما يؤكّده الحديث الوارد عن النبي محمّد صلي الله عليه وآله وسلم، هو مما يرويه أهل السُنّة والجماعة أيضاً: (كنت نبياً وآدم بين الماء والطين ـ وفي رواية: بين الروح والجسد ـ)(2).

السؤال الثالث: ما هو الربط بين تكامل درجة اليقين وبين الغيبة؟

إذا كنّا نتكلم عن أهل البيت عليهم السلام، وكان المخاطب شيعياً يؤمن من أوّل الأمر بأن الإمام عليه السلام من يوم ولادته عالم بجميع العلوم، وفي أعلي درجات اليقين، فلا نحتاج إلي برهنة ذلك له، أما إذا كنّا نخاطب شخصاً لا يعترف بذلك، أي إنه ليس من الشيعة، أو إنه ليس مسلماً، ونريد أن نقيم له البرهان علي أن الغيبة أمر ضروري للإمام عليه السلام، فكيف نُثبت له ذلك وهو لا يعترف بخصائص أهل البيت عليهم السلام؟

ما هو الربط بين التكامل اليقيني وبين الغيبة في هذه المدّة الطويلة؟

إن حجم الدور يقتضي أعلي حجم من اليقين، فما هو الدور الذي أُنيط بالإمام القائم عليه السلام؟

1- الشوري: 52.

2- راجع: مناقب آل أبي طالب 1: 183؛ بحار الأنوار 16: 402؛ الاستيعاب 4: 1488/ ح 2582؛ كنز العمال 11: 409/ ح 31917.

دور الإمام الحجة عليه السلام في إقامة العدالة التامّة:

الدور الذي أُنيط بالإمام القائم هو إقامة العدالة التامة.

فما هي العدالة التامة؟

العدالة التامّة هي التي لا تخصُّ رقعة أرضية معيّنة، بل هي عدالة علي جميع الأرض، فالدور الذي أُنيط بالإمام عليه السلام هو إقامة العدالة علي جميع أرجاء الأرض، ولا يختصُّ برقعة معيّنة.

فالقرآن الكريم يصرّح بذلك: (هُوَ الَّذي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدي وَدينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَي الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ)(1)، أي سيأتي حتماً يوم من الأيام يُطبّق فيه الدين الإسلامي علي الأرض كلها، ولا بدَّ أن يأتي هذا اليوم، وإلاّ كان خلاف ما ذكرته الآية الشريفة، وهذا ما تؤكّده الأحاديث الشريفة عند السّنّة والشيعة بلا فرق، منها قوله صلي الله عليه وآله وسلم: (لو لم يبقَ من الدنيا إلاّ يوم واحد لطوَّل الله ذلك اليوم حتّي يخرج رجلاً من ولدي ـ أو من أهل بيتي، أو منّي ـ، يواطئ اسمه اسمي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما مُلِئَت ظلماً وجوراً)(2)، وتعبير الرسول صلي الله عليه وآله وسلم: (يملأ الأرض قسطاً وعدلاً)، أي يقيم العدالة علي جميع الأرض من دون استثناء رقعة دون رقعة، تجده تعبيراً دقيقاً لمفهوم العدالة.

إذن، هذا الدور دور خطير جدّاً لم يقم به أحد من الأنبياء أو من المرسلين، فالرسول ما استطاع أن يقوم بهذا الدور، إمّا لِقُصر عمره، وإمّا لعدم ملائمة الظروف لذلك، فهناك دور أُنيط بالإمام لم ينط بأيّ نبي

1- التوبة: 33؛ الصف: 9.

2- راجع: روضة الواعظين: 261؛ الإرشاد 2: 240؛ غيبة الطوسي 425/ ح410؛ مسند أحمد 1: 99؛ سنن ابن ماجة 2: 929؛ سنن أبي داود 2: 309؛ سنن الترمذي 53: 343.

وبأيّ رسول، وهو إقامة العدالة والدين علي كل الأرض، وهذا الدور يقتضي حروباً طاحنة ساخنة، وعملية تطهير تستغرق آلاف الطاقات وآلاف الإمكانيات وآلاف الاستعدادات، إن هذا الدور دور عظيم جدّاً لم يقم به بشر إلي الآن، ولم يستطع أن يطبّق الدين علي وجه الأرض كلها؛ إذن حجم الدور يقتضي حجماً من اليقين يتناسب معه، أي كلّما كبر الدور توقف علي يقين أكبر ودرجة من الإرادة والصمود والشموخ تتناسب مع مستوي الدور وحجمه، لذلك نقول بأن الدور الذي أُنيط بالإمام عليه السلام يحتاج إلي تكامل يقيني، أي يحتاج إلي أن يكون الإمام في أعلي درجات اليقين والشموخ والإرادة؛ كي ينسجم مع هذا الدور العظيم.

لكن كيف يتم ذلك؟ أي كيف يتم التكامل اليقيني؟

إذا كنّا نتكلم مع الآخرين، فنقول لهم: إن الإمام لأجل أن يصل إلي أعلي درجات اليقين بحيث يكون مُعَدّاً للقيام بهذا الدور الخطير لا بدَّ أن يمرَّ بهذا العمر الطويل؛ لأنه ضروري من أجل الوصول إلي أعلي درجات اليقين، فالإنسان إذا كان يعيش في عصور مختلفة وفي عدّة مجتمعات، ويعيش حضارات مختلفة، فتسقط حضارة وتقوم حضارة بعدها، ويعيش في دول مختلفة، فتسقط دولة وتقوم دولة أخري، ويعيش بين جماعات مختلفة، فإنه جرَّب كل الأنظمة، وجرَّب كل المجتمعات، لذلك تكاملت معلوماته في شتّي الحقول وازدادت درجة يقينه بدوره المنوط به كي تصل إلي أعلي وأسمي درجات اليقين.

إذن، الغيبة ضرورية لكي يعيش الإمام عليه السلام هذا العمر الطويل، وذلك من أجل تحقيق التكامل اليقيني، الذي يتوقف علي معاصرة

الحضارات المختلفة والعلوم المختلفة والجماعات المختلفة؛ كي يحصل لمن عاصرها أعلي درجات اليقين. وإعطاؤه هذه الدرجة من اليقين والسعة من المعلومات لا- يعني أنه أفضل من جدّه النبي صلي الله عليه وآله وسلم، فإن ملاك الفضل باتصاله بعالم الملكوت، وتكليم الله له عن طريق الوحي، الذي لم يتحقق لغير الرسول صلي الله عليه وآله وسلم ولذلك كان موسي عليه السلام أفضل من الخضر عليه السلام وهو إمامه مع أنه كان أعرف منه ببعض المعلومات، قال تعالي: (فَوَجَدا عَبْداً مِنْ عِبادِنا آتَيْناهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنا وَعَلَّمْناهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً * قالَ لَهُ مُوسي هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلي أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً).(1)

البرهان الثاني الخاص:

نتعرض له باختصار، وهو برهان خاص، برهان يصلح أن يستدلَّ به الشيعي نفسه علي ضرورة بقاء الإمام هذا العمر الطويل، وهذا البرهان يتوقف علي سؤالين نطرحهما ونجيب عليهما.

السؤال الأوّل: ما هو الهدف من الدين الإسلامي؟

السؤال الثاني: ما هي الأمور التي يتوقّف عليها تحقيق الهدف من الدين الإسلامي؟

الهدف من الدين الإسلامي:

ما الهدف من الدين الإسلامي؟ إن الهدف من الدين هو تطبيقه علي الأرض كلها؛ لأن الدين الإسلامي هو قانون العدالة، وهو الدين الحافظ للعدالة وتطبيقها علي الأرض كلها، (هُوَ الَّذي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدي

1- 48. الكهف: 65 و66.

وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَي الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ)(1)، وإلاّ لكان تشـريع الدين لغواً، واللغو لا يصدر من الحكيم تبارك وتعالي، وهذا مـا أكّـدته الآيات القرآنيـة الأخري: (وَنُرِيـدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَي الَّذينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ)(2)، وقال تعالي: (وَعَدَ اللَّهُ الَّذينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دينَهُمُ الَّذِي ارْتَضـي لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَني لا يُشْرِكُونَ بي شَيْئاً)(3).

النظام الإسلامي هو الحل:

اشارة

السؤال الثاني: كيف نطبّق الدين علي الأرض كلها؟ وما هي الأمور التي يتوقّف عليها تطبيق الدين علي الأرض كلها؟

هناك أمران:

الأمر الأوّل: وجود الأرضية:

اشارة

أي لا بدَّ من وجود أرضية بشرية لتطبيق الدين علي الأرض كلها.

ولتلك الأرضية عاملان:

العامل الأوّل: الانجذاب نحو الإسلام:

كيف ذلك؟

إن أهمّ شيء لدي البشرية هو الاقتصاد، ولا تقوم حضارة إلاّ علي أساس اقتصادي، وقد جرَّبت البشرية مختلف الأنظمة الاقتصادية،

1- التوبة: 33؛ الصف: 9.

2- القصص: 5.

3- النور: 55.

جرَّبت النظام الشيوعي والنظام الاشتراكي، والنظام الرأسمالي، وستجرّب البشرية مختلف الأنظمة الاقتصادية، وكلّما طُبّقت تلك الأنظمة ازداد الفقر في العالم انتشاراً واتّساعاً، وسيقف العالم يوماً من الأيام علي ألوان من الفقر لا حلَّ لها، وعلي ألوان من المجاعة لا حلَّ لها، وعلي ألوان من الفشل في تطبيق النظام الاقتصادي لا حلَّ لها، وإذا وقف العالم بعد التجربة الطويلة والمريرة علي ذلك سيتحرك نحو الإسلام ويقول: طريقنا الإسلام، فقد جرّبنا النظام الشيوعي والرأسمالي والاشتراكي فما رأينا له أثراً.

العامل الثاني: العولمة:

فهل هي ضد المسلمين أم لصالحهم؟

الجواب: إذا استغلَّ المسلمون تحوّل العالم إلي منطقة واحدة، لها إعلام واحد، ولها صوت واحد، وهم مُصرّون علي دينهم وعلومهم ومعارفهم، وقاموا بنقل تاريخنا للبشرية كلها، وصار الإعلام ينقل قيم الإسلام، ويشرح النظام الاقتصادي للإسلام ستكون العولمة إعلاماً لصالحنا إلي أن يحصل للبشرية تهيئة واستعداد لاستقبال النظام الإسلامي.

الأمر الثاني: حفظ الدين:

قلنا إن الهدف من تشريع الدين هو تطبيقه علي الأرض، وتطبيق الدين علي الأرض يتوقّف علي حفظ الدين من التحريف؛ لأن الدين إذا كان نظاماً مُحرّفاً فلا يمكن تطبيقه، إذن تطبيق الدين علي الأرض يتوقف علي أن يكون النظام الديني نظاماً نزيهاً غير مُحرّف.

كيف يمكن صيانة الدين من التحريف ليكون نظاماً قابلاً للتطبيق؟

إن القرآن الكريم يؤكّد علي حفظ الدين، كما في قوله تعالي: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ)(1)، فالبعض يتصوّر أن الذكر هو القرآن، بل الذكر هو الدين، وإذا حفظ الله الدين فقد حفظ القرآن؛ لأن القرآن دستور الدين، فالمراد بالذكر هو الدين، كما في قوله تعالي: (وَما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ إِلاَّ رِجالاً نُوحي إِلَيْهِمْ فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ)(2)، وقوله تعالي: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ)(3).

كيف يتمّ حفظ الدين؟

لا يتمّ حفظ الدين إلاّ بالشخص الخبير بالدين، والعارف والعالم به علماً واقعياً، لا علماً ظاهرياً، كيف؟

إن فقهاء المسلمين يعلمون بالدين علماً ظاهرياً وليس علماً واقعياً، فهل كتاب منهاج الصالحين هو الدين؟ لا، فهذه فتاوي استنبطها هذا الفقيه، وتوصّل إليها عبر خبراته وثقافته ومؤهّلاته، فالدين الواقعي دين له وجود معيّن، وهذه الفتاوي مجرد فتاوي ظنّية توصّل إليها الفقيه عبر قيامه بعملية الاستنباط، إذن علم الفقيه مهما كان، حتّي لو كان أعلم أهل زمانه، علم ظاهري، والشخص الذي يعلم بالدين علماً ظاهرياً لا يمكنه حفظ الدين عن التحريف، فحفظ الدين عن التحريف والتزوير يتوقّف علي شخص عالم بالدين علماً واقعياً، فهو مطّلع علي حقائق الدين وواقعه؛ لذلك ففي كل زمن ومنذ زمن نبينا صلي الله عليه وآله وسلم إلي يومنا هذا لا يمرُّ زمن إلاّ ويوجد شخص عالم بالدين علماً واقعياً؛ لأنه هو المسؤول عن

1- الحجر: 9.

2- النحل: 43.

3- الحجر: 9.

حفظ الـدين، ولـذلك ورد في الأحاديث الشـريفة: (لو بقيت الأرض بغير إمام لساخت)(1)، أي: لولا وجود الشـخص العالم بالدين علماً واقعياً لانتهي الدين وتعرّض للتحريف والتزوير.

وورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السـلام: (لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة، إما ظاهراً مشهوراً، أو خائفاً مغموراً، لئلاّ تبطل حجج الله وبيّناته)(2).

الإمام المهدي عليه السلام هو الحافظ لدين الله تعالي:

والمهمّ أن هناك حُجّـة وظيفته حفظ الـدين عن التحريف، وهـذا هو معني (حديث الثقلين)(3) الذي لم يختصّ به الشـيعة الإمامية فقط، وإنما رواه جمهور المسـلمين، لـذلك نري أن محاولات تحريف القرآن ليست جديـدة، فاليهود من قبل خمسـمائة أو سـتمائة سـنة حاولوا تحريف القرآن، والآـن علي الإنترنت تري محاولات من قِبَل بعض المسـيحيين وبعض اليهود لإدخال آيات جديـدة وتغيير بعض الآيات، لكنها لا تفوت علي المسلمين أبداً، وأيّ محاولة تنكشف سريعاً ويتنبّه المسلمون لها ويقفون أمامها بحزم.

إذن الهـدف من وجود الدين هو تطبيقه علي الأرض، وذلك يتوقّف علي حفظه من التحريف، وهذا يتوقّف علي وجود شـخصٍ عالم بالدين علماً واقعياً،

1- راجع: الكافي 1: 178/ باب أن الأرض لا تخلو من حجّة/ ح 1 - 13.

2- نهج البلاغة 4: 37/ رقم 147.

3- . قوله صـلي الله عليه وآله وسـلم: (إنّي تـاركٌ فيكم الثقلين: كتـاب الله وعترتي أهـل بيتي، وإنهمـا لن يفترقا حتّي يردا عليَّ الحوض)، راجع: كمال الدين: 234 - 241/ باب 22/ ح 44 - 65؛ سنن الترمذي 5: 328؛ سنن النسائي 5: 45.

وهو المسؤول عن حفظه من التحريف، كما نصَّ عليه حديث الثقلين، والشـخص الذي يحفظ الدين عن التحريف هذه المدّة الطويلة وهذا العمر الطويل هو المهـدي المنتظر عليه السـلام، إذن الغيبـة أمر ضـروري لأجل حفظ الدين من التحريف، وهذا يتوقّف علي وجود الإمام هذا العمر الطويل، وهذه أمور لا يدركها إلاّ الشخص القريب منه عليه السلام.

***

ص: 39

المحاضرة الثالثة: الغيبة وانسجامها مع الغرض الإلهي، والآثار المترتبة عليها

اشارة

ص: 41

الغيبة وانسجامها مع الغرض الإلهي، والآثار المترتبة عليها

اشارة

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَلَقَدْ كَتَبْنا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُها عِبادِيَ الصَّالِحُونَ)(1).

حديثنا عن الغيبة في نقطتين:

النقطة الأولي: هل أن الغيبة منسجمة مع الغرض الإلهي، أم مخالفة للأهداف الإلهية؟

والنقطة الثانية: في الآثار المترتبة علي الغيبة.

النقطة الأولي: انسجام الغيبة مع الغرض الإلهي:

اشارة

استدل علماء الإمامية علي وجوب نصب الإمام بقاعدة تُسمّي (قاعدة اللطف)، والتي تنصُّ علي وجوب نصب الإمام بعد النبي صلي الله عليه وآله وسلم، وهذا الكلام يتكوّن من مقدمتين:

المقدمة الأولي: أن الإمام لطف، حيث إن وجوده أمر يغذّي حاجة المجتمع البشري الذي يحتاج إلي من يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر، ويقضي بين الناس بالعدل، ويقيم الحدود والتعزيرات، وينشر العدالة بين أبناء المجتمع.

إذن، المجتمع البشري محتاج إلي وجود الإمام، فوجود الإمام لطف؛ لأنه يغذّي هذه الحاجة.

1- الأنبياء: 105.

والمقدمـة الثانية: أن اللطف واجب الصدور من الله عز وجل؛ لأن وجود إمام ينشـر العدل، ويأمر بالمعروف، وينهي عن المنكر، ويقضـي بين الناس، ويهدي المجتمع إلي الخير هو لطف. لكن هل هذا اللطف واجب؟

نعم، اللطف واجب.

لِمَ؟ لأن المجتمع البشـري محتاج إلي وجود إمام عادل، آمر بالمعروف، ناهٍ عن المنكر، فعـدم نصب الإمام من قِبَله تعالي يعود إمّا لجهله، وإمّا لعجزه، وإمّا لبخله، وليس عندنا شقٌ رابع.

فعدم نصـبه للإمام إما بخل أو جهل أو عجز، والله تعالي منزّه عنها، فيكون مقتضـي نزاهة الله عن الجهل وعن العجز وعن البخل أنه يجب نصب الإمام بين الناس، فنصب الإمام بين الناس بعد رسول الله صلي الله عليه وآله وسلم واجب الصدور من الله؛ لأنه لطف.

ونتيجة هاتين المقدمتين أن نصب الإمام واجب.

هكذا استدلَّ الإمامية علي ضرورة نصب الإمام بعد النبي.

شبهة نقض الغرض:

وهنا يَرد سؤال يقول: بناءً علي الدليل الذي ذكرتموه للاستدلال فإن غيبة الإمام نقض للغرض، ونقض الغرض قبيح، والقبيح محال علي الله تبـارك وتعالي، علي أن الغرض من نصب الإمام والهـدف من نصـبه هو أن الإمام يأمر بالمعروف، وينهي عن المنكر، ويقضـي بين الناس، ويبلّغ الأحكـام الشـرعية، أليس هـذا هو الغرض؟ هـذا الغرض لا يمكن تحصـيله مع غيبـة الإمام، ولو كان الإمام حاضـراً بين الناس لقام بالغرض،

إذ لو كـان الإمـام موجوداً بين أظهر النـاس يرونه ويعرفونه ويراهم ويعرفهم لكـان وجوده محقّقـاً للغرض، أمـا إذا كـان غائبـاً فغيبته ناقضـة للغرض، فغيبته تمامـاً عكس الهـدف وعكس الغرض؛ لأنه ما لم يكن حاضـراً بين الناس فإنه غير قادر علي إقامـة العدالـة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

إذن، غيبة الإمام نقض للهدف، ونقض الهدف قبيح.

لماذا؟

مثلاً إذا أراد إنسان تأسـيس مسـجد لغرض العبادة، ثمّ استخدمه كورشة للحدادة أو للنجارة، فهل يصحُّ ذلك؟ إنه نقض للغرض كذلك الله سبحانه وتعالي نصَّب الإمام لغرض إقامة العدالة، والغيبة تنقض هذا الغرض، ونقض الغرض قبيح، والقبيح محال علي الله تبارك وتعالي.

إذن فكرة الغيبـة فكرة قبيحـة يرفضـها العقـل؛ لأنها نقض للغرض، ونقض الغرض محال علي الله، فهـذه الفكرة في حـدّ ذاتها أمر محال لا يمكن صدوره من الله عز وجل، بأن ينصب إماماً غائباً مستوراً عن الأعين، هذه الفكرة أمر محال في حدّ ذاته.

جواب الشبهة:

اشارة

والجواب عن هذا السؤال بوجهين:

الوجه الأوّل: الإمام عليه السلام شاهد علي أعمال الخلائق:

اشارة

أن الغرض من نصب الإمام ـ أيّ إمام كان ـ ليس هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأن مسؤولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تجب علي كل الناس وجوباً كفائياً: (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَي

الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ)(1)، والغرض من نصب الإمام ليس هو تبليغ الأحكام الشرعية والقضاء بين الناس وإقامة الحدود والتعزيرات، فهذه وظيفة الفقهاء في عصر الغيبة، كما ورد عن الإمام المنتظر عليه السلام: (فأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلي رواة حديثنا، فإنهم حجّتي عليكم، وأنا حجّة الله عليهم)(2).

إذن، الغرض من نصب الإمام ليس هذا ولا ذاك، حتّي يقال: إن هذا الغرض لا يتحقق مع غيبة الإمام.

الغرض من نصب الإمام أمران:

الأمر الأوّل: مسألة الشهادة علي أعمال الخلائق:

أي أن يكون شهيداً علي أعمال الخلائق، فالآية التي وردت في عيسي بن مريم عليه السلام الذي كان إماماً؛ لأن الرسل أولي العزم كانوا أئمّة، (وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهيداً ما دُمْتُ فيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَني كُنْتَ أَنْتَ الرَّقيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلي كُلِّ شَيْءٍ شَهيدٌ)(3)، مفادها أن الهدف من وجوده بينهم هو الشهادة علي أعمالهم، والشهادة علي أفعالهم، والغرض من نصب الإمام هو أن يقوم بالشهادة، والآية المباركة التي تخاطب النبي محمّد صلي الله عليه وآله وسلم: (وَكَذلِكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَي النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهيدا)(4) تؤكّد الغرض من وجود النبي والإمام، وهو الشهادة علي أعمال الخلائق

1- آل عمران: 104.

2- كمال الدين: 484/ باب 46/ ح 4.

3- المائدة: 117.

4- البقرة: 143.

شهادةً حضورية، هذا هو الغرض، وليس الأمر بالمعروف وتبليغ الناس الأحكام الشرعية.

ومن الواضح أن الإمام سواءً كان مرئياً أو كان غائباً هو قادر علي أن يقوم بغرض الشهادة، سواءً كان الإمام معروفاً بين الناس أم مجهولاً، حاضراً مع الناس أم غائباً عنهم، هو قادر علي أن يقوم بالشهادة وأن يحقق غرضها.

إذن، الغرض من نصب الإمام متحقّق، وليست غيبة الإمام أمراً ناقضاً للغرض كي تكون الغيبة أمراً محالاً أو أمراً قبيحاً.

الإمام المنتظر عليه السلام هو الحافظ للدين:

الأمر الثاني: أن المترتّب علي نصب الإمام عليه السلام هو حفظ الدين:

لكي لا تمتد أيدي التزوير والتلاعب والتحريف إلي الدين الإسلامي، وقد ذكرنا فيما سبق قوله تعالي: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ)(1) أن المقصود بالذكر ليس هو القرآن الكريم، وإنما الدين السماوي المحفوظ من خلال القرآن الكريم نفسه.

إن الله تبارك وتعالي تعهّد بحفظ هذا الدين، وحفظ الدين بأسبابه، ومن أسباب حفظ الدين وجود الشخص الخبير بالدين كي يكون قادراً علي حفظه من أن تندس أيدي التلاعب والتزوير والتحريف إليه.

كيف يحفظ الدين؟

ليس المقصود من الدين هو الوظيفة الظاهرية والتي يجب علي

1- الحجر: 9.

الناس في عصـر غيبة الإمام عليه السلام أن يعملوا بها وهي فتاوي الفقهاء، وهي وظائف ظاهرية وليست وظائف واقعية؛ لأن فتوي الفقيه قد تُصيب الواقع وقد تخطئ، لكن مع ذلك لو أصابت فتوي الفقيه الواقع فبها ونعمت، ولو أخطأت فتوي الفقيه الواقع فهو معذور كما أن المقلّد له معذور: (لا عذر لأحد من موالينا في التشـكيك بما يؤدّيه عنّا ثقاتنا، قد علموا أنا نفاوضـهم سرنا، ونحملهم إيّاه إليهم)(1)، أي: لا ينبغي التشكيك في ما يرويه الفقهاء وما يمليه الفقهاء، ووظيفة الناس العمل بفتاوي هؤلاء وهم معذورون، (فأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلي رواة حـديثنا، فـإنهم حجّتي عليكم، وأنا حجّـة الله عليهم)(2)، فليست وظيفـة الـدين هو هـذه الوظيفـة الظاهرية؛ لأن الدين مجموعة من القوانين السماوية، وهي موجودة في القرآن وفي الأحاديث الصحيحة، وهذه القوانين هي الدين الواقعي، وهذه المجموعة من القوانين يجب حفظهـا من الـدس والتزوير والتحريف، لكن المتكفـل بحفظهـا هو من كـان عارفاً بها، ومن لا يعرف هـذه القوانين الواقعيـة الموجودة في الكتاب والأحاديث الصحيحة لا يمكنه حفظها، وأهل البيت عليهم السلام أدري بما في الكتاب.

دخل قتادة بن دُعامة علي الإمام الباقر عليه السلام فقال: (يا قتادة، أنت فقيه أهل البصرة؟)، قال: هكذا يزعمون، فقال أبو جعفر عليه السلام: (بلغني أنك تفسّر القرآن؟)، فقال له قتادة: نعم، فقال له أبو جعفر عليه السلام: (بعلم

1- وسائل الشيعة 1: 38/ ح 61/ 22.

2- كمال الدين: 484/ باب 46/ ح 4.

تفسّره أم بجهل؟)، قال: بل بعلم، فقال له أبو جعفر عليه السلام: (فإن كنت تفسّره بعلم فأنت أنت وأنا أسألك؟)، قال قتادة: سل، قال: (أخبرني عن قول الله عز وجل في سبأ: (وَقَدَّرْنا فيهَا السَّيْرَ سيرُوا فيها لَيالِيَ وَأَيَّاماً آمِنينَ)(1)؟)، فقال قتادة: ذلك من خرج من بيته بزاد حلال وراحلة وكراء حلال يريد هذا البيت كان آمناً حتّي يرجع إلي أهله، فقال أبو جعفر عليه السلام: (نشدتك الله يا قتادة هل تعلم أنه قد يخرج الرجل من بيته بزاد حلال وراحلة وكراء حلال يريد هذا البيت فيقطع عليه الطريق فتذهب نفقته ويضرب مع ذلك ضربة فيها اجتياحه؟)، قال قتادة: اللهم نعم، فقال أبو جعفر عليه السلام: (ويحك يا قتادة إن كنت إنما فسّرت القرآن من تلقاء نفسك فقد هلكت وأهلكت، وإن كنت قد أخذته من الرجال فقد هلكت وأهلكت،... ويحك يا قتادة إنما يعرف القرآن من خوطب به)(2).

إنّ معرفة القرآن معرفة واقعية، ومعرفة الأحاديث الصحيحة معرفة واقعية أمرٌ لا يتأتّي لا لفقيه ولا لغير فقيه، وإنما لمن خوطب بهذا القرآن، وبمن خوطب بهذه الأحاديث الصحيحة، ألا وهو الإمام القائم عليه السلام.

إذن، بالنتيجة يكون الغرض من نصب الإمام هو حفظ الدين الواقعي، والدين الواقعي لا يمكن حفظه إلاّ لمن كان عارفاً به، والعارف بالدين الواقعي هو الإمام عليه السلام الذي تلقّي مواريث النبوة وكتب الأنبياء وكتب الأئمّة عليهم السلام، ووصلت إليه العلوم الواقعية يداً بيد، فهو الوحيد القادر علي حفظ الدين، وحفظ الدين يتوقّف علي المعرفة، والمعرفة غير موجودة إلاّ عند إمام الزمان عليه السلام.

1- سبأ: 18.

2- الكافي 8 : 312/ ح 485.

إذن، القادر علي حفظ الدين هو إمام الزمان، (من مات لا يعرف إمامه مات ميتةً جاهلية)(1).

ورد عن الأئمّة عليهم السلام: (لو بقيت الأرض يوماً بلا إمام منّا لساخت بأهلها)(2).

وورد عن الإمام علي عليه السلام قوله: (لا ـ تخلو الأرض من قائم لله بحجة، إما ظاهراً مشهوراً، أو خائفاً مغموراً، لئلاّ تبطل حجج الله وبيناته)(3)، فهو الذي يقوم بحفظ الدين.

وقد يُسأل: كيف يقوم بحفظ الدين وهو غائب؟

نقول: يُحفظ الدين من خلال الاتصال بمواقع القرار للأمّة الإسلاميّة، من قيادات وعلماء ومراجع ووجهاء، وكل شخص له نفوذ وتأثير في الأمّة الإسلاميّة، والإمام قادر علي حفظ الدين من خلال اتصاله بمواقع القرار، بالطريقة المباشرة أو بغير المباشرة، فالمهمّ أن واجبه حفظ الدين، فلا بدَّ أن يقوم به من خلال الاتصال بمواقع القرار مباشرةً أو بالواسطة من أجل حفظ الدين وإقامة هذا الغرض.

واليوم الصحوة الإسلاميّة تنمو، والوجود الإسلامي يكبر، وظاهرة التشيّع تقوي وتكبر وتمتد إلي أرجاء الأرض يوماً بعد يوم، ومع وجود حرب شرسة ضدّ الدين، لكن الدين يقوي ويزداد نمواً وقوةً، وهذا كاشف عن وجود تصرّفات غيبية خفية يقوم بها المسؤول عن هذه التصرفات من أجل حفظ الدين، ومن أجل حفظ هيبته ومكانته، ومن

1- الكافي 1: 377/ باب من مات وليس له إمام من أئمّة الهدي/ ح 1 - 4.
2- راجع: كمال الدين: 204/ باب 21/ ح 1 - 23.
3- نهج البلاغة 4: 37/ رقم 147.

أجـل حفـظ قوّته، ألا وهي تصـرفات المولي صاحب الأمر عليه السـلام، ولولا أننا تحت رعايته وأنه لا يعزب عنه شـيء من أخبارنا لنزل بنا اللأواء واصطلمنا الأعداء(1).

بالنتيجـة أنّ هـذا المفهوم وهو أن الغيبـة نقض للغرض غير تـام، فـالغرض حفظ الـدين، والشـهادة علي أعمال الخلق، وهو قادر علي ذلك حاضراً كان أم غائباً.

الوجه الثاني: الغيبة عمل بشري لا سماوي:

إن الغيبـة ليست مخطّطاً سـماوياً، وإنما هي عمل بشـري، والعمل البشـري لا يكون نقضاً للغرض السـماوي، فمثلاً أن الهدف من نصـب الإمام علي عليه السلام للإمامة هو إقامة الدولة الإسلاميّة العادلة، هذا هو المخطّط السماوي، لكن الذي حصل علي الأرض أنه بمجرد أن تولي الخلافـة قـام عليه الناكثون والقاسـطون والمارقون من كل حـدبٍ وصوب، وشـنّوا عليه حروباً داميـة لخمس سـنوات، لم تعطِ للإمام الفرصة الكافية لتحقيق الدولة الإسلاميّة العادلة، إلي أن قتله بعض الخوارج في محرابه.

فقتل علي عليه السـلام ليس هو بمخطّط سماوي، ولكن ما صنعه البشر كان رفضاً لمخطّط السماء، وهو حرب علي عليه السلام وقتله، إذن بالنتيجة الجناية البشرية لا تعدُّ نقضاً للغرض السماوي؛ لأنه قد يكون علي شيء

1- ورد في التوقيع الشـريف: (إنّا نحيط علماً بأنبائكم، ولا يعزب عنّا شـيء من أخباركم، ومعرفتنا بالذل الذي أصابكم مذ جنح كثير منكم إلي مـا كان السـلف الصالـح عنه شاسـعاً، ونبـذوا العهـد المأخوذ وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون. إنّا غير مهملين لمراعاتكم، ولا ناسـين لذكركم، ولولا ذلك لنزل بكم اللأواء أو اصطلمكم الأعداء...)، راجع: (الاحتجاج 2: 323).

وتكون الجنايـة البشـرية علي شـيء آخر، وهذا لا يعني نقض الغرض للسـماء، فالله تبارك وتعالي بعث نبيه بالرحمة ليظهر دينه علي الدين كله، (هُوَ الَّذي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدي وَدينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَي الـدِّينِ كُلِّهِ)(1)، فلما جاء بنو أميّة نسـخوا الدين من أصـله، وجاء بنو العبّاس وواصلوا المسيرة بتشويه الدين السماوي، فما نصَّت عليه السماء شيء، وما جناه البشر شيء آخر.

إن الله تبارك وتعالي عندما نصَّب الإمام المهدي عليه السـلام إماماً بعد أبيه الحسن العسـكري عليه السـلام، لم يكن الغرض من نصـبه أن يغيب هذه الغيبة، أي أنها ليست مخطّطاً سـماوياً، بل كان مخطّطاً أن يبقي حاضراً بين الناس، ويقوم بتحقيق أهداف الإمامة وهو حاضر بين النـاس، ولكن الجنايـة البشـرية صـارت علي عكس مخطّط السـماء، حيث هجم الظالمون عليه فاسـتتر خوفاً من الظالمين، ولم تقم الأمّة الإسـلاميّة بنصرته والدفاع عنه، ولو أن الأمّة الإسلاميّة وقفت إلي جنبه يوم هجوم الظالمين عليه ما تغيّب الإمام، فالإمام لم يتغيب لأن الله أمره بالغيبـة، فالله أمره كإمام أن يكون كسائر الأئمّة في أن يبقوا حاضـرين بين الناس ويقيموا العدالة بين الناس ويوصـلوا الناس إلي الهداية، (وَجَعَلْنا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا لَمَّا صَبَرُوا وَكانُوا بِآياتِنا يُوقِنُونَ)(2).

إن الغرض هو الهداية، لكن البشـر رفضوا هذا المخطّط السـماوي، وهجم الظالمون علي الإمام، وطلب الإمام النصـرة من الأمّة الإسلاميّة فلم

1- التوبة: 33؛ الفتح: 28؛ الصف: 9.

2- السجدة: 24.

تكن مستعدة ولا حاضرة لبذل النصرة والوقوف معه حتّي يبقي حاضراً ويقيم غرض الولاية كما ذُكِر في القرآن الكريم، فهل هذا عمل إلهي أم تقصير بشري؟ بالتأكيد هو تقصير بشري.

إذن، نتيجة الكلام أن الغيبة ليست مخطّطاً سماوياً كي نقول بأن هذا المخطّط السماوي نقض للغرض، فغيبة الإمام تقصير بشري وجناية بشرية، فعندما ننظر إلي مسألة موسي بن عمران عليه السلام، وبني إسرائيل: (قالُوا يا مُوسي إِنَّ فيها قَوْماً جَبَّارينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَها حَتَّي يَخْرُجُوا مِنْها)(1)، (فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقاتِلا إِنَّا هاهُنا قاعِدُونَ)(2)، نجدهم قد رفضوا أن يدخلوا الأرض المقدسة، (قالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسي وَأَخي فَافْرُقْ بَيْنَنا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفاسِقينَ * قالَ فَإِنَّها مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعينَ سَنَةً يَتيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلا تَأْسَ عَلَي الْقَوْمِ الْفاسِقينَ)(3).

لذلك غاب موسي عليه السلام عنهم، فبقوا في حيرة يتيهون في الأرض أربعين سنة، فهل غيبة موسي عليه السلام عنهم مخطّط سماوي أم جناية منهم؟ إنها جناية منهم، هم الذين رفضوا الاستعداد لنصرة موسي عليه السلام، وهم الذين رفضوا الاستعداد لكي يكونوا يداً مع موسي عليه السلام، ونتيجة عدم نصرتهم وتخلّيهم عن الوظيفة غاب عنهم موسي عليه السلام، فغيبته ليست مخطّطاً سماوياً، بل كانت نتيجة جناية بشرية، ونفس الكلام بالنسبة للإمام المنتظر، فغيبة الإمام المنتظر عليه السلام نتيجة جناية بشرية وتقصير من الأمّة الإسلاميّة، وليست الغيبة مخطّطاً سماوياً ليقال: إن هذه الغيبة نقض للغرض من نصب الإمامة.

إذن، فهذا السؤال وهذه الشبهة مندفعة.

1- المائدة: 22.

2- المائدة: 24.

3- المائدة: 25 و26.

النقطة الثانية: الآثار الروحية المترتبة علي الغيبة:

اشارة

الغيبة حصلت للإمام عليه السلام، فما هي الآثار الروحية المترتبة علي الغيبة؟

هناك ثلاثة آثار مهمّة:

الأثر الأوّل: اندفاع الأمّة للتهيؤ والإعداد:

شعور الأمّة بالتقصير يدفع لإعداد الأرضية لخروج الإمام المنتظر، إن الإمام يحتاج إلي قاعدة شعبية عريضة مخلصة مُضحية باذلة تعرف معني الإمامة ومعني طاعة الإمام، فلو وُجِدت قاعدة شعبية تملك خصائص التضحية والبذل والإخلاص والفناء والذوبان والانصهار في الإمام عليه السلام لظهر الإمام عليه السلام، فلا مانع من ظهوره إلاّ عدم استعداد القاعدة.

إن شعور الناس بغيبة الإمام نتيجة لتقصيرهم في إعداد الأرضية الصالحة يكون سبباً في اندفاعهم لتهيئة هذه الأرضية، وفي إيجاد النخبة المخلصة المضحية الباذلة، حتّي إذا وُجِدت وتهيّأت هذه الأرضية ظهر الإمام عليه السلام.

ورد عن النبي صلي الله عليه وآله وسلم: (أفضل أعمال أمّتي انتظار الفرج)(1)، ما معني انتظار الفرج؟ هل الحوقلة وهي أن تقول: لا حول ولا قوة إلاّ بالله اللهم عجل الفرج. إن الانتظار بمفهومه الإيجابي لا بمفهومه السلبي، بمعني إعداد الأرضية فانتظار الضيف يعني إعداد البيت لاستقباله، كذلك انتظار الإمام بمعني تهيئة الأرضية الصالحة لظهوره، هذا الأثر الأوّل من آثار الغيبة.

1- راجع: كمال الدين: 644 - 647 / باب 55 ما روي في ثواب المنتظر للفرج/ ح 1 - 8.

الأثر الثاني: الاستعداد للقاء الإمام المنتظر عليه السلام:

اشارة

وهنا عندنا مقدمتان:

المقدمة الأولي: الغيبة العنوانية والغيبة الشخصية:

يـذهب العلماء إلي أن غيبـة الإمام هي غيبـة العنوان لا غيبة الشـخص، فإن غيبة الشـخص تعني أن نفس شـخص الإمام غير موجود، مثل عيسـي بن مريم عليه السـلام، فعيسـي بن مريم شخصه غائب؛ لأن شخصه قد رُفع إلي حظيرة القدس، فهي غيبة إعجازية وغير طبيعية، أما غيبـة الإمام المنتظر عليه السـلام فهي ليست كذلك، إن غيبة الإمام المنتظر غيبة العنوان وليست غيبة الشـخص، أي أن الإمام المنتظر عليه السـلام موجود مع الناس، إلاّ أن شخصه غير معروف، فالإمام المنتظر يحضر قضايا الناس العامة والخاصة، ولم يغب شخصه، وإنما الذي غاب هو عنوانه.

إذن غيبة الإمام المنتظر غيبة طبيعية وليست إعجازية.

والإمـام المنتظر يحافـظ علي خفـائه حفظاً شخصـياً عادياً وطبيعياً، من خلال تغيير الاسم والعنوان والمكان وطرق الاتصال ونوع الارتباط بالبشـر، فكلّمـا مرَّت فترة عليه غيَّر مكانه وعنوانه وطريقـة اتصاله، فغيبته غيبـة عنوانيـة طبيعيـة، فهو يقوم بحفظ نفسه عن أعين الظالمين، ولو كانت غيبـة الإمام غيبـة إعجازيـة فلا معني أن ننتظر الإمام ونقول: (اللهم كن لوليك الحجـة بن الحسن صـلواتك عليه وعلي آبائه في هـذه الساعـة وفي كل ساعة ولياً وحافظاً، وقائداً وناصـراً، ودليلاً وعيناً، حتّي تسـكنه أرضك طوعاً، وتمكّنه فيها طويلاً)(1)، أي ندعو له بالحفظ، فعيسي عليه السلام لا

1- تهذيب الأحكام 3: 103/ ح 265/ 37.

يحتاج إلي أن ندعو له وأن نقول: اللهم احفظ عيسي بن مريم وهو في حظيرة القدس وبين الملائكة. إنما ندعو بالحفظ لمن كانت غيبته غيبة طبيعية عادية، فهو يقوم بحفظ نفسه من الأخطار، وهو الذي يقي جسمه من الأمراض، وهو الذي يقي نفسه من التلف والضياع، لذلك نحن ندعو الله فنقول: (اللهم أصلح عبدك وخليفتك بما أصلحت به أنبياءك ورسلك، وحفه بملائكتك، وأيّده بروح القدس من عندك، واسلكه من بين يديه ومن خلفه رصداً يحفظونه من كل سوء، وأبدله من بعد خوفه أمناً يعبدك لا يشرك بك شيئاً، ولا تجعل لأحد من خلقك علي وليك سلطاناً، وائذن له في جهاد عدوّك وعدوّه، واجعلني من أنصاره، إنك علي كل شيء قدير)(1)، فالدعاء له بالحفظ شاهد علي غيبة العنوان لا غيبة الشخص.

المقدمة الثانية: إمكانية الارتباط بالإمام عليه السلام:

إذا كان الإمام حاضراً بيننا وغيبته غيبة عنوان فالاتصال به أمر ممكن وميسور، فقد يتصل أحدنا بالإمام من حيث لا يشعر، وقد يختلط بالإمام ويتحدّث للإمام والإمام يوصل له بعض الأفكار الصالحة من حيث لا يشعر، وقد يوصل له بعض الأمور التي يهديه بها من حيث لا يشعر، فاتصالنا بالإمام عليه السلام اتصال ميسور وممكن، إنما نحن نريد أن نعرف العنوان، هل هذا هو الإمام أم غيره، كيف ذلك؟

الإمام يعلّمنا الطريق، (ولو أن أشياعنا وفقهم الله لطاعته علي اجتماع من القلوب في الوفاء بالعهد عليهم لما تأخّر عنهم اليُمن بلقائنا،

1- مصباح المتهجد: 367.

ولتعجلت لهم السعادة بمشاهدتنا علي حق المعرفة وصدقها منهم بنا، فما يحبسنا عنهم إلاّ ما يتصل بنا مما نكرهه ولا نؤثره منهم، والله المستعان وهو حسبنا ونعم الوكيل...)(1).

ومحمّد بن عثمان العمري السفير الثاني للإمام عليه السلام يقول: (والله إن صاحب هذا الأمر ليحضر الموسم كل سنة ـ يعني الحج ـ يري الناس ويعرفهم، ويرونه ولا يعرفونه)(2)، هو موجود بينهم، ولكنهم لا يعرفون أن هذا الشخص هو الإمام المنتظر عليه السلام، إذن إذا أردت أن تلقي الإمام يعني أن تعرفه باسمه وعنوانه فالطريق واضح (فما يحبسنا عنهم إلاّ ما يتصل بنا مما نكرهه ولا نؤثره منهم)، وهو التخلص من الذنوب والمعاصي، فإن ذلك الطريق الواضح أمام رؤية الإمام بعنوانه وبشخصه.

وقد يقول الإنسان: ما الغرض من اللقاء؟ وما الذي يترتّب لو التقيت بالإمام؟

الجواب: إن هناك شيء اسمه الهداية الأمرية، (وَجَعَلْناهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا)(3)، أتريد أن تصل إلي الهداية الأمرية، أتريد أن تكون مثل سلمان الفارسي وأبي ذر والمقداد وعمّار وكُميل؟ هؤلاء النخبة حينما التقوا بالأئمّة حصلوا علي أعلي مرتبة من الهداية وهي الهداية الأمرية، فأيّ إنسان لا يرغب بهذا الهدف؟ فإذا أردت أن تصل إلي الهداية الأمرية فالطريق إليها هو لقاء الإمام، والطريق إلي لقاء الإمام هو رفض الذنوب والتخلي عنها.

1- راجع التوقيع الشريف في: الاحتجاج 2: 325.

2- غيبة الطوسي: 363/ ح 329.

3- الأنبياء: 73.

وقد يستغرب أحد الرواية الواردة في تفسير الآية المباركة: (وَالّذينَ جاهَدُوا فينا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا)(1)، بأن معني هداية السبيل هو سبيل أهل البيت عليهم السلام(2)، إن الآية الشريفة اشتملت علي تعبير دقيق: (لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا)، ولم تقل: (لنهدينهم إلينا)، فأنت إذا قمت بمجاهدة نفسك الأمّارة بالسوء فستصل إلي السبيل إلي الله، ولكن من هو السبيل إلي الله؟ عندما تقرأ في دعاء الندبة: (وكانوا هم السبيل إليك، والمسلك إلي رضوانك...)(3)، فإن السبيل إلي الله هم أهل البيت عليه السلام، والهداية إلي السبيل فرع المجاهدة النفسية، وفرع نبذ الذنوب والمعاصي، وهكذا تصل إلي السبيل، إذن الأثر الثاني المترتّب علي الغيبة هو استعداد الإنسان للقاء الإمام عليه السلام، لا أن ينكر وجود الإمام ويقول: لم يولد الإمام بعد، فهل التقي بمن هو لم يولد؟ من ينكر الإمام لا يحصل علي هذا الأثر، ومن ينكر وجود الإمام عليه السلام محروم من هذا الأثر، أما من يعترف بوجود الإمام وأنه يمكن لقاؤه فطريق لقائه نبذ الذنوب، ومن خلاله يمكن الوصول إلي الهداية الأَمرية، فالأثر المترتّب علي الغيبة هو الاستعداد للقاء الإمام المنتظر عليه السلام.

الأثر الثالث: تقوية العلاقة القلبية بيننا وبين الإمام عليه السلام:

ما معني تقوية العلاقة القلبية؟

قال تعالي: (قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبي)(4)، إن مودّة أهل البيت عليه السلام واجب شرعي، فكل طريق يقوّي المحبة فهو طريق مطلوب، وكل طريق يقوّي في قلوبنا محبّة أهل البيت عليهم السلام فهو

1- العنكبوت: 69.

2- راجع: تفسير القمي 2: 151؛ تفسير فرات: 320/ ح 434/ 5.

3- دعاء الندبة/ مفاتيح الجنان.

4- الشوري: 23.

طريق مرغوب، فالشعور بغيبة الإمام المنتظر يقوّي جانب المحبّة والعلاقة القلبية مع الإمام.

مثلاً إذا كان عندك شخص عزيز غائب ألا يأخذك الشوق إلي لقائه؟ ألا يشتدّ شوقك إلي رؤيته؟ ألا تنمو العلاقة القلبية معه أكثر مما لو كان مفقوداً؟ ولو قيل لك: إن فلاناً الذي تنتظره مات، فإن العلاقة القلبية تبرد وتنتهي، فشعورك بأن الإمام معدوم وليس بموجود يطفئ العلاقة القلبية، أما شعورك بأن الإمام غائب وأنت منتظر له، فهذا عامل من عوامل تقوية العلاقة القلبية وتقوية العلاقة النفسية بينك وبين الإمام. وإذا قويت علاقتك بالإمام فستنعكس هذه العلاقة القلبية علي سلوكك، فتبعثك إلي الصدقة وإلي الحج وإلي الطواف وإلي الصلاة وإلي أيّ عمل قربي تقوم به وتهدي ثوابه إلي الإمام المنتظر عليه السلام.

إذن هذه الآثار كلها آثار سلوكية وروحية تترتّب علي الاعتقاد بغيبة الإمام المنتظر، ومن لا يعتقد بالغيبة فليس عنده من هذه الآثار شيء.

* * *

ص: 59

المحاضرة الرابعة: غيبة الإمام المهدي عليه السلام في ضوء حديث الثقلين

اشارة

ص: 61

غيبة الإمام المهدي عليه السلام في ضوء حديث الثقلين

اشارة

بسم الله الرحمن الرحيم

ورد عن الرسول صلي الله عليه وآله وسلم: (إنّي مخلّف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما إن تمسكتم بهما لم تضلوا بعدي أبداً، وقد أنبأني الخبير اللطيف أنهما لن يفترقا حتّي يردا عليَّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما)(1).

الحديث عن الإمام المنتظر عليه السلام من خلال حديث الثقلين يصبّ في ثلاث نقاط:

النقطة الأولي: إثبات حضوره وغيبته.

والنقطة الثانية: في إثبات دوافع الغيبة.

والنقطة الثالثة: في بيان التفاعل بين المسلمين وبين الإمام عليه السلام حال غيبته.

النقطة الأولي: إثبات حضوره وغيبته:

اشارة

إن مسألة ظهور الإمام عليه السلام أمر مسلّم به عند جميع المسلمين، فلا أحد ينكر أن هناك إماماً يظهر في آخر الزمان يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، فجميع المسلمين شيعة وسُنّة يُسلّمون بأن في آخر الزمان يظهر إمام يملأ

1- 87. رواه جمهور العامة فضلاً عن الخاصة بتفاوت في الألفاظ، والمعني واحد، راجع علي سبيل المثال لا الحصر: كمال الدين: 234 - 241/ باب 22/ ح 44 - 65؛ سنن الترمذي 5: 328؛ سنن النسائي 5: 45.

الأرض قسطاً وعدلاً، وذلك بدلالة القرآن الكريم والحديث النبوي، أما القرآن الكريم فيقول: (هُوَ الّذي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدي وَدينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَي الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ)(1)، أي لا بدَّ أن يظهر الدين الإسلامي علي جميع الأديان في يوم من الأيام، فتظهر راية الإسلام ولواؤه علي جميع الأديان وجميع المذاهب في شتّي بقاع العالم، وهذا إلي الآن لم يحصل، ولكن لا بدَّ أن يحصل، وفي يوم من الأيام ستمتد الدعوة الإسلاميّة ويمتد النداء الإسلامي إلي جميع أرجاء الأرض، وتظهر راية الإسلام خفّاقة علي جميع الرايات: (وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَي الَّذينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ)(2)، فمعني يرثون الأرض أي هم آخر من يحكم الأرض.

إذن، لا بدَّ من دولة إسلاميّة تعمُّ أرجاء الأرض في آخر الزمان، وهذا صريح القرآن الكريم، وهذا أمر مسلّم به.

أما الحديث النبوي الشريف، فقد ورد عن الرسول الأعظم صلي الله عليه وآله وسلم أنه قال _ كما في (المستدرك علي الصحيحين)(3) _: (لا تقوم الساعة حتّي تملأ الأرض ظلماً وجوراً وعدواناً، ثمّ يخرج رجل من أهل بيتي فيملؤها قسطاً وعدلاً بعدما مُلئت ظلماً عدواناً). وفي (كنز العمال)(4): (لو لم يبقَ من الدهر إلاّ يوم، لبعث الله تعالي رجلاً من أهل بيتي يملؤها عدلاً كما مُلِئت جوراً».

1- التوبة: 33؛ الصف: 9.

2- القصص: 5.

3- ج 4: 557.

4- ج 14: 267/ ح 38675.

التاريخ والأحاديث النبوية يؤيّدان ولادته عليه السلام:

إن مسألة ظهور الإمام عليه السلام لا نقاش فيها، والشيعة الإمامية تعتقد أن الإمام وُلِد، وأنه غائب إلي أن يأذن الله له بالخروج. أما غيرهم من المسلمين فيقول: إن الإمام بعدُ لم يولد، والإمام يولد في آخر الزمان ويخرج، فالاختلاف في هذه النقطة: هل أنه وُلِد ثمّ غاب؟ أم أنه بعد لم يولد؟

نحن الشيعة الإمامية نقول: نعم، وُلِد، وهو غائب حالياً.

أوّلاً: الدليل التاريخي يساعدنا، فعندما تقرأ كتاب (وفيّات الأعيان)(1) لابن خلّكان، أو (مطالب السؤول)(2) لمحمّد بن طلحة

1- راجع: ج 1: 571، قال: (في ذكر محمّد بن الحسن المهدي): وكانت ولادته يوم الجمعة منتصف شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين، وذكر ابن الأزرق في (تاريخ ميافارقين) أن الحجة المذكور ولد تاسع عشر ربيع الأوّل سنة ثمان وخمسين ومأتين، وقيل: في ثامن شعبان سنة ست وخمسين، وهو الأصح. (عنه شرح إحقاق الحق 13: 89).

2- راجع: ص 89، قال: الباب الثاني عشر في أبي القاسم محمّد بن الحسن الخالص بن علي المتوكّل بن محمّد القانع بن علي الرضا بن موسي الكاظم بن جعفر الصادق بن محمّد الباقر بن علي زين العابدين ابن الحسين الزكي بن علي المرتضي بن أبي طالب المهدي الحجة الخلف الصالح المنتظر عليهم السلام ورحمة الله وبركاته... إلي أن قال: فأما مولده فبسر من رأي في ثالث وعشرين شهر رمضان سنة ثمان وخمسين ومائتين للهجرة. وأما نسبه أباً وأُمّاً فأبوه الحسن الخالص بن علي المتوكّل بن محمّد القانع ابن علي الرضا بن موسي الكاظم بن جعفر الصادق بن محمّد الباقر بن علي زين العابدين ابن الحسين الزكي بن علي المرتضي أمير المؤمنين. وأُمّه أُمّ ولد تُسمّي صقيل، وقيل: حكيمة، وقيل غير ذلك. وأما اسمه: محمّد، وكنيته: أبو القاسم، ولقبه: الحجة، والخلف الصالح، وقيل: المنتظر. (عنه شرح إحقاق الحق 13: 88).

الشافعي، أو (تذكرة خواص الأمّة)(1) لابن الجوزي، تجدهم كلّهم ينصّون علي أن الإمام الحسن العسكري عليه السلام أنجب ولداً اسمه محمّد، وُلد ثمّ غاب عن الأنظار.

وغير ذلك من كتب أهل السُنّة التاريخية الدالة علي أن شخصاً اسمه محمّد بن الإمام الحسن العسكري ولد.

ثانياً: الأحاديث النبوية، فالأحاديث تؤيّد وجود الإمام، فقد ورد عن الرسول الأعظم صلي الله عليه وآله وسلم: (لا يزال هذا الدين قائماً حتّي يكون عليكم اثنا عشر خليفة، كلّهم من قريش)(2).

وهذا الحديث يؤكّد علي أن الأئمّة متصلون إلي يوم القيامة، أي لن تمرَّ فترة علي الأمّة الإسلاميّة بدون إمام، وأن الإثني عشر يتسلسلون إلي يوم القيامة، فلا تأتي فترة أو زمان علي الأمّة الإسلاميّة خالية من وجود إمام منهم، وهذا ما أكّده الرسول الأعظم صلي الله عليه وآله وسلم في حديث آخر، علي ما ورد في مصادر المذاهب الأخري: (من مات وليس عليه إمام مات ميتة جاهلية)(3).

إذن لكل زمان إمام، وكل زمان يمرُّ علي الأمّة الإسلاميّة يوجد فيها إمام،

1- راجع: (ص 204)، قال: محمّد بن الحسن بن علي بن محمّد بن علي بن موسي بن جعفر بن محمّد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وكنيته أبو عبد الله، وأبو القاسم، وهو الخلف الحجة صاحب الزمان القائم والمنتظر والتالي، وهو آخر الأئمّة. وقال: ويقال له: ذو الاسمين محمّد وأبو القاسم، قالوا: أُمّه أُمّ ولد يقال لها: صقيل. (عنه شرح إحقاق الحق 13: 90).

2- راجع: مسند أحمد 5: 87 - 108؛ صحيح البخاري 8 : 127؛ صحيح مسلم 6: 3؛ سنن أبي داود 2: 309؛ سنن الترمذي 3: 340؛... (رووه بتفاوت في اللفظ دون أن يخلّ بالمعني).

3- راجع: مجمع الزوائد 5: 225؛ كتاب السُنّة لابن أبي عاصم: 489؛ مسند أبي يعلي 13: 366؛ معجم الطبراني الأوسط 6: 70.

ولو سألنا أيّ مسلم: من إمامك، أي إمام هذا الزمان؟ فلا يجرأ ويتجاسر ويدّعي أنه إمام هذا الزمان، بل لا يوجد من البشر شرقاً وغرباً من يقول لك: أنا إمام هذا الزمان، ولا يمكن أن تُسند هذه الدعوي إلاّ إلي الإمام المهدي عليه السلام.

وأيضاً حديث الثقلين الذي ذكرناه: (إنّي مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما إن تمسكتم بهما لم تضلّوا بعدي أبداً، وقد أنبأني الخبير اللطيف أنهما لن يفترقا حتّي يردا عليَّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما).

إذن مدلول هذا الحديث أنه لا بدَّ من إمام باقٍ إلي يوم خروجه وظهوره، والدليل التاريخي ـ كما ذكرناه ـ يساعدنا علي أن هذا الإمام الغائب الموجود هو محمّد بن الحسن المهدي عليه السلام، أما مسألة استبعاد غيبة الإمام هذه المئات من السنين فهي مسألة واضحة الدفع، فجميع المسلمين يقرّون أن عيسي بن مريم ما زال حيّاً: (وَما قَتَلُوهُ وَما صَلَبُوهُ وَلكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ)(1)، وفي آية أخري: (بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ)(2)، الروايات الشيعية تؤكّد أن عيسي بن مريم عليه السلام يأتي للإمام المنتظر عليه السلام ويصلي خلفه في بيت المقدس(3)، فإذا كان عيسي بن مريم عليه السلام متمتّعاً بصحة وعافية كل هذه المئات من السنين، فما المانع أن يبقي الإمام المنتظر عليه السلام هذه المئات من السنين وبصحة وعافية استعداداً لذلك اليوم العظيم يوم خروجه؟!

1- النساء: 157.

2- النساء: 158.

3- بل روايات العامة والخاصة، راجع: كمال الدين: 251/ باب 23/ ح 1؛ دلائل الإمامة 443/ ح 416/ 20؛ غيبة الطوسي: 191/ ح 154؛ مستدرك الحاكم 4: 478؛ كنز العمال 14: 266/ ح 38673؛ ينابيع المودة 1: 241/ باب 15/ ح 14.

النقطة الثانية: التجربة وضرورتها للإمام عليه السلام:

اشارة

وهي مهمّة لأنّ البشرية بلا شكّ تحتاج إلي إمام معصوم يبلّغ الأحكام الواقعية، يقيم العدل، يقيم القسط، ينشد الأمّة الإسلاميّة إلي خيرها، فهي بحاجة ماسّة إلي وجوده، فما هو الدافع، وما هو سبب غيبته وعدم ظهوره؟ هذا سؤال يطرحه الكثير من الإخوان السُنّة وغيرهم.

ونذكر هنا وجهين:

الوجه الأوّل: ما طرحه علماؤنا، من أن البشرية لا بدَّ لها من تجربة مريرة تتهيّأ فيها لدولة الإمام عليه السلام.

كيف؟

مثلاً: حكومة الإمام علي عليه السلام أكبر من الظروف التي عاشتها العقلية والتجربة البشرية آنذاك، التي لم تكن في مستوي وعي شخصية الإمام علي عليه السلام، ومستوي إدراك حكم الإمام علي عليه السلام، وبالتالي حكم عليه السلام فقط خمس سنوات، وكلها حروب واختلافات واضطرابات بين المسلمين، نتيجة أن التجربة البشرية ما كانت في مستوي حكم الإمام عليه السلام.

مع أن الرسول صلي الله عليه وآله وسلم نصبه خليفة علي المسلمين، لكن لما أُبعدت الخلافة عنه خمساً وعشرين سنة صارت الظروف غير مهيّأة، أي ليست في مستوي حكم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام. والإمام المنتظر لو أراد الدولة العادلة أو الدولة العامة الشاملة علي أرجاء الأرض، فهل الأرضية مهيّأة لإقامة الدولة الإسلامية العامة علي جميع بقاع الأرض، (هُوَ الَّذي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدي وَدينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَي الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ)(1)؟

1- التوبة: 33؛ الصف: 9.

إن إقامة الدولة الإسلاميّة العامة تحتاج إلي كون المجتمع البشري متهيّئاً نفسياً وذهنياً لقبول الإسلام واعتناقه وتلقّيه، كما لا بدَّ من وجود أرضية بشرية مهيّأة نفسياً وثقافياً لدولة الإمام المنتظر عليه السلام، والبشرية تعيش في تجربة مُرّة حيث تجرّب سائر الأنظمة وسائر الحضارات وسائر القوي إلي أن تيأس من كثرة المشاكل الاقتصادية، والحروب والفتن والويلات التي تمرُّ بها، إلي أن تتهيّأ نفسياً بكل انتظار، وبكل إلحاح إلي أن الخلاص الوحيد والعلاج الوحيد لمشاكلها هو الإسلام.

والبشرية جرّبت أنظمة وحضارات وأجهزة مختلفة ومتباينة، رأسمالية، وشيوعية، واشتراكية، وأنظمة أخري، ورأت فشل الجميع، وأدركت فشلها وعدم كفاءتها، وطبعاً تزداد المشاكل البشرية يوماً بعد يوم، وتزداد نسب المجاعة والفقر والحروب والفتن والقلاقل والاضطرابات، إلي أن تدرك البشرية أنه لا مخلّص إلاّ الإسلام، ولا علاج ولا حلَّ ولا كافل لسائر المشاكل إلاّ الإسلام، وإذا تطلّعت البشرية إلي الإسلام وإلي نظامه كحلّ وكعلاج كان ظرفاً مهيّأ ومناسباً لخروج الإمام عليه السلام، فيخرج والبشرية تحت رايته؛ لأنها راية الإسلام الذي هو الحلّ الوحيد لسائر المشاكل البشرية الاقتصادية والأمنية.

الوجه الثاني: رأي المفكر الإسلامي الكبير الشهيد السعيد السيد محمّد باقر الصدر قدس سره في الغيبة:

إن السيد محمّد باقر الصدر قدس سره يذكر أن غيبة الإمام نافعة حتّي للإمام نفسه فضلاً عن البشرية، فيقول: إن كل دور يحتاج إلي كفاءة مناسبة للدور، فمثلاً موسي بن عمران بُعث رسولاً لمّا بلغ أربعين سنة،

والقرآن الكريم يقول: (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوي آتَيْناهُ حُكْماً وَعِلْماً)(1)، أي لمّا صار عقله ناضجاً وخبرته ناضجة ورجولته كاملة آتيناه حكماً وعلماً، فذلك الدور كان يحتاج هذا النوع من الكفاءة، أي ما كان يمكن لموسي بن عمران أن يقوم بدوره كرسول إلاّ بعد هذا السن وبعد هذه التجربة.

وكذلك النبي الأعظم صلي الله عليه وآله وسلم، فقد بُعث وعمره أربعون سنة، مع أنه نبي منذ ولادته، وقد ورد عنه صلي الله عليه وآله وسلم كما في (تفسير الرازي): (كنت نبياً وآدم بين الماء والطين)(2)، أي أنّ الله تبارك وتعالي خلق النبي نوراً قبل أن يخلق آدم، وأعطاه النبوة قبل أن يخلق آدم، واجتباه بالنبوة والعفّة والطهارة، وقد ورد عنه صلي الله عليه وآله وسلم: (كنت أنا وعلي نوراً بين يدي الله جل جلاله قبل أن يخلق آدم بأربعة آلاف عام، فلما خلق الله آدم سلك ذلك النور في صلبه، فلم يزل الله عز وجل ينقله من صلب إلي صلب حتّي أقرَّه في صلب عبد المطلب...)(3)، لكن ما أُمر بالدعوة إلاّ بعد أربعين سنة، والتجربة الإسلاميّة تؤكّد هذا، فتهيئته كقائد مميّز تذعن له القلوب وتلتف خلف رايته وتعلن وتؤمن بنضجه وتؤمن بفكره يحتاج إلي أن يمرَّ بهذا النحو من التجربة.

وإن الدور الذي يقوم به الإمام المنتظر ليس دوراً عادياً، فلم يقم به أحد من نبي ولا رسول منذ آدم إلي يومنا هذا، إن إقامة دولة علي جميع بقاع الأرض ولمدّة أربعين سنة دور عملاق ما قام به أحد قبله، لا

1- القصص: 14.

2- التفسير الكبير للفخر الرازي 6: 213.

3- الخصال: 640/ ح 16.

من الأنبياء، ولا من الرسل، ولا من الأوصياء، إذن يُحتاج في هذا الدور إلي كفاءة تتناسب مع الدور نفسه.

فإن ضخامة الدور تقتضي ضخامة الكفاءة، وضخامة الدور تقتضي ضخامة الاستعداد، فكلّما كان الدور عظيماً فهو يحتاج إلي عظمة وكفاءة أكبر، والإمام المنتظر يقوم بدور ما قام به أحد، وهو إقامة دولة إسلاميّة عامة علي جميع بقاع الأرض، وهذا أمر يحتاج إلي إعداد يتناسب مع الدور تماماً، أي أن الدور يحتاج إلي شخص عاصر جميع الحضارات وجميع المجتمعات وجميع الأنظمة والدول، وتعرَّف علي جميع الأهواء والميول وعلي جميع أنواع الأمور.

فإذا عاصر جميع الأنظمة فإنه يتعرّف علي نقاط الضعف ونقاط القوّة في كل نظام، وإذا عاصر جميع الحضارات تعرَّف علي عوامل البقاء وعوامل الفناء لكل حضارة معاصرة وجميع الأزمنة التي تمرُّ علي البشرية، فيكتسب هذا الشخص نضجاً كاملاً في الخبرة وما تحتاج إليه الدولة الإسلاميّة العامة علي جميع بقاع الأرض، أي أنه عاصر الجميع، فوصل إلي الإعداد الكافي للقيام بدوره كقائد عام لدولة إسلاميّة عامة.

الفرق بين العلم والخبرة:

فهناك فرق بين العلم وبين الخبرة، فالعلم أمر نظري، والخبرة أمر تطبيقي، والأمر التطبيقي يحتاج له الإمام كأيّ شخص آخر، فالطبيب درس في الجامعة وتخرّج متخصّصاً في القلب مثلاً، وهذا الطبيب عنده معلومات نظرية بحتة، ثمّ يبدأ بفتح عيادة يعالج مرضي القلب مثلاً، وتلك المعلومات النظرية تظهر للوجود فيثبّتها أثناء عيادته وأثناء علاجه،

فيحصل علي الخبرة، أي كان عنده علم نظري فتحوّل إلي خبرة، لذلك هناك فرق بين الخبرة وبين العلم النظري.

مثلاً ما نزل في النبي الأعظم صلي الله عليه وآله وسلم: (وَكَذلِكَ أَوْحَيْنا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنا ما كُنْتَ تَدْري مَا الْكِتابُ وَلاَ الْإيمانُ)(1)، يدلُّ علي وجود فرق بين الدراية النظرية والدراية التطبيقية والتفصيلية، فالنبي الأعظم صلي الله عليه وآله وسلم قبل البعثة كان يدري بتمام الأمور لكن دراية نظرية علمية، وبعد البعثة ما دري به صار مجالاً تطبيقياً، فقاد حروباً وغزوات، وقاد الدولة الإسلاميّة، وعاصر فيها منافقين ويهوداً ومسيحيين، وجادلهم وناقشهم، وهذه التجربة التي مرَّ بها النبي صلي الله عليه وآله وسلم امتدت لثلاث وعشرين سنة.

رأي صاحب الميزان قدس سره في الدرايتين النظرية والتفصيلية:

والسيد الطباطبائي صاحب (تفسير الميزان)(2) يقول: هذه الثلاث والعشرون سنة هي دراية تفصيلية، وما قبلها دراية نظرية، فالذي ينفيه القرآن هو الدراية التفصيلية.

ونحن نؤمن أن الإمام المعصوم منذ ولادته يعرف ويدري سائر الأمور، ما تحتاج إليه الدولة الإسلاميّة العامة، وما تحتاج إليه المجتمعات، وما تحتاج إليه الحضارات والأجهزة المختلفة، وكان يعلم بذلك، ولكن علماً نظرياً، وقد ترك الإمام بالفعل ليعيش ألفاً وثلاثمائة سنة أو ألفاً وأربعمائة سنة أو أكثر ليعاصر الحضارات بنفسه ويكتشف الأنظمة بنفسه، فالتجربة التي يمرُّ بها أثناء غيبته يتحوّل فيها العلم النظري

1- الشوري: 52.

2- راجع: تفسير الميزان 18: 77.

إلي خبرة تطبيقية، وهذه الخبرة التطبيقية تساعده علي إقامة النظام الإسلامي العام علي وجه الأرض.

وقد يستند إلي روايات تؤيّد هذا، فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: (إنّا لنزاد في الليل والنهار، ولو لم نُزد لنفد ما عندنا)، قال أبو بصير: جُعِلت فداك، من يأتيكم به؟ قال: (إن منّا من يعاين، وإن منّا لمن ينقر في قلبه كيت وكيت، ومنّا من يسمع بأذنه وقعاً كوقع السلسلة في الطست)، فقلت له: من الذي يأتيكم بذلك؟ قال: (خلق لله أعظم من جبرئيل وميكائيل)(1).

إذن الإمام يمرُّ بمراحل تكاملية، فتزداد علومه ومعارفه، والسيد رحمه الله يقرر أن الغيبة ضرورية حتّي للإمام، حتّي يتمّ الإعداد الكافي المناسب للدور الذي يقوم به، وهو دور إقامة العدل الإسلامي العام علي جميع وجه الأرض، وما أُفيد إن كان مبنياً علي تصور المذاهب الإسلاميّة لشخصية الإمام عليه السلام فهو تام في الجملة، وإن كان مبنياً علي مسلك الإمامية فإن كثيراً من العلماء يختلف معه بأن الإمام المعصوم لا يحتاج إلي هذه الفكرة، ولا يحتاج إلي هذه التجربة؛ لأنه قادر علي تطبيق النظام في أيّ أمر وفي أيّ وقت بلا حاجة إلي أن يمرَّ بهذه التجربة، وهناك آراء في نفس النسق.

عرض الأعمال علي الإمام عليه السلام:

النقطة الثالثة: كيف نتفاعل مع الإمام وهو غائب؟

اشارة

إن التفاعل مع الإمام له عدّة أمور:

الأمر الأوّل: الإحساس برقابته:

نحن عندنا روايات تدلُّ علي أن الأعمال تُعرض علي الإمام، فعن

1- بصائر الدرجات: 252/ باب 7/ ح 5؛ عنه: بحار الأنوار 18: 270.

يعقوب بن شعيب قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: (وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَي اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ)(1)؟ قال: (هم الأئمّة عليهم السلام)(2)، أي إن أعمالكم تعرض علي رسول الله صلي الله عليه وآله وسلم والأئمّة من بعده.

وفي رواية أخري عن سماعة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: (ما لكم تسوؤن رسول الله صلي الله عليه وآله وسلم؟!)، فقال رجل: كيف نسوؤه؟ فقال: (أما تعلمون أن أعمالكم تُعرض عليه، فإذا رأي فيها معصية ساءه ذلك، فلا تسوؤا رسول الله وسرّوه)(3).

المؤمن طبعاً يشعر برقابة الله تبارك وتعالي، فإحساسي برقابة الله وبرقابة الإمام تزيد بُعدي ونفوري عن الرذيلة، فإذا شعرت برقابة الإمام المعصوم وعرفت أن أعمالنا تُعرض عليه يشهدها ويراها، ويعرف سيّئها من حسنها، ويعرف الشيعي المستقيم من غيره، والمخلص وغير المخلص، إذا شعرنا بأن الإمام يرانا ويراقبنا وتُعرض عليه أعمالنا، وتعرض عليه سيّئاتنا ورذائلنا، زاد إحساسنا بالرقابة، وقوي بُعدنا واجتنابنا عن الرذيلة.

فإذن التفاعل مع الإمام وهو غائب يقوّي الإحساس برقابته عليه السلام.

الأمر الثاني: تسديد الإمام للشيعة:

كلنا نعتقد بأن الإمام يسدّد الشيعة، ولولا تسديده لانقرض التشيّع منذ أمد طويل، منذ زمن السلطة الأموية وزمن السلطة العبّاسية، فالتشيّع تيّار محارب ومعارض بجميع أنواع المعارضة والمحاربة، وهذا نتيجة تسديد الإمام وتأييده عليه السلام.

1- التوبة: 105.

2- الكافي 1: 219/ باب عرض الأعمال علي النبي صلي الله عليه وآله وسلم والأئمّة عليهم السلام/ ح 2.

3- الكافي 1: 219/ باب عرض الأعمال علي النبي صلي الله عليه وآله وسلم والأئمّة عليهم السلام/ ح 3.

والإمام يكتب إلي الشيخ المفيد رحمه الله: (إنّا نحيط علماً بأنبائكم، ولا يعزب عنّا شيء من أخباركم، ومعرفتنا بالذل الذي أصابكم مذ جنح كثير منكم إلي ما كان السلف الصالح عنه شاسعاً، ونبذوا العهد المأخوذ وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون. إنّا غير مهملين لمراعاتكم، ولا ناسين لذكركم، ولولا ذلك لنزل بكم اللأواء أو اصطلمكم الأعداء...)(1).

إذن دعاء الإمام وبركات الإمام وتسديد الإمام هو الذي يحرس التشيّع، ولولا دعاؤه وتسديده وبركاته وخير وجوده لانقرض هذا المذهب منذ زمن وانتهي، ولكن ببركات الإمام عليه السلام نري الامتداد الشيعي مستمراً علي وجه الأرض.

الأمر الثالث: رؤية الإمام:

اشارة

من التفاعل مع الإمام رؤية الإمام، ولكن عندنا رواية في كيفية رؤية الإمام عليه السلام، فالإمام كتب إلي علي بن محمّد السمري آخر السفراء الأربعة في الغيبة الصغري: (بسم الله الرحمن الرحيم، يا علي بن محمّد السمري، أعظم الله أجر إخوانك فيك، فإنك ميت ما بينك وبين ستة أيام، فاجمع أمرك ولا توص إلي أحد فيقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة التامة، فلا ظهور إلاّ بعد إذن الله تعالي ذكره، وذلك بعد طول الأمد، وقسوة القلوب، وامتلاء الأرض جوراً، وسيأتي من شيعتي من يدّعي المشاهدة، ألا فمن ادّعي المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة فهو كاذب مفتر)(2).

1- راجع: (الاحتجاج 2: 323).

2- غيبة الطوسي: 395/ ح 365.

ولذلك هناك شريحة من الناس يشوبها اليأس لأنهم يعتقدون أنه عليه السلام يغيب غيبة طويلة، وما يثبت علي الإيمان به إلاّ من امتحن الله قلبه بالإيمـان، وفي بعض الروايات: (أما والله ليغيبنَّ عنكم صاحب هـذا الأمر وليخملنَّ حتّي يقال: مات، هلك، في أيّ وادٍ سـلك؟)(1)، فكيف نوفّق بين هذه الرواية، وبين ما عُلِم من رؤية كثير من العلماء وكثير من الصلحاء وكثير من الأبرار الإمام المنتظر عليه السلام؟

كيفية رؤية الإمام عليه السلام:

إن العلامة الحلّي أحد أقطاب الشـيعة الإمامية كان يدرس عند عالم من علماء الدين، وكان الأخير يكتب كتاباً للردّ علي الشـيعة والتشـيّع، فالعلامـة الحلّي طلب هذا الكتاب من أسـتاذه السّـنّي، قال له: أعطني الكتاب أقرؤه، فلم يوافق؛ لأنه يعرف أن العلامة كان ذكياً وقادراً علي الردّ، فما أعطاه الكتاب، فحاول معه العلامة وقال: أعطني الكتاب حتّي أراه وأتبصّـر فيه، فقال له: إذا كان كذلك أُعطيك إيّاه ليلة واحدة فقط وترجعه في اليوم الثاني؛ لأنه يعرف أن ليلـة واحدة لن تكفيه لقراءة الكتاب والتأمّل والغور فيه، فوافق وأخذ العلامة الكتاب من أسـتاذه، وقرّر أن يسـهر تلك الليلـة علي الكتاب ويستنسـخه بالكامل، طبعاً بدأ العلامة باسـتنساخ الكتاب، ونام وهو ينسخ الكتاب من شدّة التعب، فلما أغمضت عيناه رأي رجلاً ماثلاً أمامه، فأخذ منه الكتاب وقال له سأُساعدك علي ذلك، فما استيقظ من نومه قريب الفجر إلاّ والكتاب

1- الكافي 1: 339/ باب في الغيبة/ ح 11.

منسوخ(1). ولأجل أنه هو مرجع الشيعة في زمانه، وكانت تفتقر له الشيعة افتقاراً كبيراً، فكان يحتاج إلي تأييد الإمام وتسديده، وهذا من بركات الإمام عليه السلام، الذي يقوم بتأييد العلماء خصوصاً إذا كانوا في مكان المرجعية العامة للشيعة، فهم يحتاجون إلي تسديد الإمام وبركاته عليه السلام.

وهناك كثير من القصص والرؤي التي تُذكر للإمام عليه السلام(2)، فالمقصود من حديث: (من ادّعي المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة فهو كذّاب مفتر)(3)، هو من ادّعي السفارة والنيابة، فبعد علي بن محمّد السمري لا توجد سفارة، فهو آخر سفير وآخر نائب، أما رؤية الإمام والتشرّف بوجهه الشريف والاستفادة من تأييده وتثبيته فهو أمر شائع مشهور لدي كثير من العلماء والصلحاء والأبرار.

فقد ورد عنه عليه السلام أنه قال: (ولو أن أشياعنا وفقهم الله لطاعته علي اجتماع من القلوب في الوفاء بالعهد عليهم لما تأخّر عنهم اليُمن بلقائنا، ولتعجّلت لهم السعادة بمشاهدتنا علي حق المعرفة وصدقها منهم بنا، فما يحبسنا عنهم إلاّ ما يتصل بنا مما نكرهه ولا نؤثره منهم، والله المستعان وهو حسبنا ونعم الوكيل...)(4)، لا يحجبنا عنهم إلاّ ذنوبنا ومعاصينا وتجاوزاتنا وذنوبنا.

وفي بعض الروايات: (من دعا إلي الله أربعين صباحاً كان من

1- راجع: النجم الثاقب: 294؛ جنة المأوي: 252.

2- لمزيد الاطلاع راجع كتاب جنة المأوي في من فاز بلقاء الحجة عليه السلام للعلامة الميرزا النوري قدس سره.

3- غيبة الطوسي: 395/ ح 365.

4- راجع التوقيع الشريف في: الاحتجاج 2: 325.

أنصـار قائمنا، فإن مات قبله أخرجه الله تعالي من قبره، وأعطاه بكل كلمـة ألف حسـنة، ومحا عنه ألف سـيئة)(1)، ودعاء العهد فيه تشويق لرؤية الإمام: (اللهم إن حال بيني وبينه الموت الذي جعلته علي عبادك حتماً مقضياً، فأخرجني من قبري مؤتزراً كفني، شاهراً سيفي، مجرداً قنـاتي، ملبيـاً دعـوة الـداعي في الحاضـر والبـادي، اللهـم أرني الطلعـة الرشـيدة والغرة الحميـدة، وأكحـل نـاظري بنظرة منّي إليـه، وعجل فرجه...)(2).

فإن دعاء الندبة، ودعاء العهد، ودعاء الفرج أدعية وردت عن أهل البيت عليهم السـلام لخلق ارتباط المؤمن مع الإمام المنتظر عليه السلام، فلنظل علي علاقة نفسـية بالإمام، لنظل علي شوق وعلي انتظار وعلي توجّه نفسـي للإمام عليه السـلام، وهذه الأدعية إذا مارسـناها ستزداد اللهفة والشوق والانتظار له عليه السلام، وهذا الشوق النفسي له آثار طيّبة علي السلوك وعلي الرزق والعمر والتوفيق، فبالمواظبة علي الأدعية المذكورة سيزداد تعلّقنا النفسي بالإمام، وهذا التعلّق النفسي يعكس آثاره وخيراته علي سلوكنا وعلي أنفسنا وعلي أعمالنا وعلي حركاتنا.

* * *

1- 117. بحار الأنوار 53: 95؛ نقلاً عن مصباح الزائر.

2- مصباح الكفعمي: 551.

المحاضرة الخامسة: مميزات دولة الإمام المهدي عليه السلام والاستعداد لها

اشارة

مميزات دولة الإمام المهدي عليه السلام والاستعداد لها

اشارة

بسم الله الرحمن الرحيم

حديثنا في هذا الإطار في نقطتين:

النقطة الأولي: في بيان مميزات دولته الخاتمة المباركة.

والنقطة الثانية: حول الاستعداد بأن نكون من أنصاره وأعوانه وأنصار خطه ودربه المبارك.

النقطة الأولي: مميزات دولة الإمام المهدي عليه السلام:

اشارة

ما هي المميزات التي تميّز دولة الإمام المنتظر الخاتمة الموعودة علي باقي حضارات الدول التي سبقتها؟ إذا أردنا أن نعرف هذه المميزات فلنقف علي هذا الحديث النبوي الشريف، الذي ذكره الرسول محمّد صلي الله عليه وآله وسلم: (لو لم يبقَ من الدنيا إلاّ يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتّي يبعث رجلاً من ولدي ـ أو من أهل بيتي، أو منّي ـ، يواطئ اسمه اسمي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما مُلِئَت ظلماً وجوراً)(1)، ولنسجّل مميزات الدولة الخاتمة، دولة الإمام المنتظر عليه السلام، من خلال ثلاث مفردات:

المفردة الأولي: التعبير بالبعث، (يبعث رجلاً من أهل بيتي).

1- رواه جمهور العامة والخاصة بتفاوت في اللفظ، والمعني واحد، راجع: روضة الواعظين: 261؛ الإرشاد 2: 240؛ غيبة الطوسي 181/ 140؛ مسند أحمد 1: 99؛ سنن ابن ماجة 2: 929؛ سنن أبي داود 2: 309؛ سنن الترمذي 3: 343.

المفردة الثانية: هي التعبير بالامتلاء، (يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً).

المفردة الثالثة: التعبير بالقسط والعدل، كيف ينشر القسط والعدل؟

المفردة الأولي: معني البعث:

اشارة

(لو لم يبقَ من الدنيا إلاّ يوم واحد لطوَّل الله ذلك اليوم حتّي يبعث...)، ما معني البعث؟ البعث عندما يُستخدم في القرآن الكريم فهو يعني الشيء الجديد الذي لم يسبق له مثيل، فكل شيء جديد لم يسبق له مثيل يعبّر عنه بالبعث والمبعوث، مثلاً القرآن الكريم يتحدّث عن الرسول صلي الله عليه وآله وسلم ويقول: (هُوَ الَّذي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ)(1)؛ لأن هذه الظاهرة ظاهرة جديدة، إذ أن وجود رسول في أُمّ القري ظاهرة جديدة لم يسبق لها مثيل، لذلك القرآن يعبّر عنها بالبعث: (هُوَ الَّذي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً).

وأيضاً في قوله تعالي: (أَوْ كَالَّذي مَرَّ عَلي قَرْيَةٍ وَهِيَ خاوِيَةٌ عَلي عُرُوشِها قالَ أَنَّي يُحْيي هذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِها فَأَماتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قالَ كَمْ لَبِثْتَ قالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عامٍ)(2)، وهذه حالة جديدة لم يسبق لها مثيل، ولذلك عبّر عنها القرآن الكريم بالبعث: (فَأَماتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ).

والقرآن الكريم يتحدّث عن النبي محمّد صلي الله عليه وآله وسلم، فيقول: (عَسي أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقاماً مَحْمُوداً)(3).

1- الجمعة: 2.

2- البقرة: 259.

3- الإسراء: 79.

فإن المقام الذي يُعطي للنبي لم يعطَ لأحد من الخلق، وهو مقام الشفاعة العامة، فهذا مقام جديد لم يسبق له مثيل، إذن البعث هو الشيء الجديد الذي لم يسبق له مثيل، لذلك عبّر الرسول صلي الله عليه وآله وسلم عن دولة الإمام المنتظر عليه السلام بالبعث، أي أن دولته دولة جديدة، وأن خطه خط جديد لم يسبق له مثيل، فما هو الجديد في الإمام المهدي عليه السلام؟

تزاوج العلوم في دولة الإمام المهدي عليه السلام:

سبقت دولة الإمام المهدي دول وحضارات، فما هو الجديد في حضارته؟ وما هو الجديد في دولته؟ الجديد في حضارته أن يومه وعهده عليه السلام هو عهد تزاوج العلوم.

ما معني تزاوج العلوم؟

إن كل علم من العلوم يمرُّ بمرحلتين، مرحلة التفصيل، ومرحلة التزاوج، مثلاً علم الطب قبل خمسمائة سنة كان علماً واحداً، وبعد ذلك دخل في مرحلة تفصيل، فصار طب القلب غير طب الأسنان وغير طب العيون، فعلم الطب دخل مجال المرحلة التفصيلية فتحوّل إلي علوم متعددة، والمرحلة الأخري هي مرحلة لقاء العلوم وتزاوجها، كيف؟ إن أيّة ظاهرة تحدث في المجتمع يتوقّف علاجها علي تزاوج العلوم ولقائها، مثلاً لو وجدنا صبياً عمره عشر سنوات أو إحدي عشر سنة يتعاطي مخدرات، فهذه ظاهرة مرضيّة خطيرة، فكيف نعالجها؟ صبي تفتك بجسمه المخدرات، هنا تلتقي عدّة علوم لأجل معالجة هذه الظاهرة، فهناك عدّة علوم تتزاوج وتلتقي فيما بينها كي تعالج هذه الظاهرة، حيث يأتي علم الطب ويقول: إن جسمه صار جسماً ملوّثاً

يحتاج إلي عمليـة تنقية ويحتاج إلي عملية تطهير، فعلم الطب يتكفّل بذلك، ثمّ يأتي علم النفس ويدرس الدوافع النفسـية التي دفعت بهذا الغلام حـدث السن إلي أن يرتكب هـذه الجريمـة وهي جريمـة تعاطي المخدرات، فيتكفل بذلك، ويأتي علم الاجتماع ويدرس الظروف الموضوعيـة التي عاشـها هـذا الغلام حتّي نتـج عنها أنه ارتكب هذه الجريمة، وما هي بيئته؟ وما هو مجتمعه؟ وما هي العوامل الاجتماعية التي حرّكت فيه هـذه الرغبـة وهـذا الحس إلي أن ارتكب هذه الجريمة؟ أما ما هي العقوبة المناسـبة لهذا الطفل؟ فعلم القانون يتدخّل في ذلك ويحدّد لنا العقوبة المناسبة.

إذن، ظاهرة واحدة استدعت منّا عدّة علوم؛ لكي نعالجها، فكيف بحضارة كاملة؟!

نحن إذا أردنـا أن نعالـج ظاهرة ما فنحتاج إلي تزاوج ولقاء بين العلوم، فكيف إذا أردنا أن نؤسـس حضارة متكاملـة؟ إن إقامـة هـذه الحضارة يحتاج إلي أن تشترك جميع العلوم وجميع المعارف وتتلاقـح وتتزاوج فيما بينها كي تساعـد علي إقامة الحضارة، حتّي اختيار الألوان تلتقي فيه علوم مختلفة حيث يتدخّل علم الطب فيها، فهل اللون يؤثّر علي بصرك؟ وهل اللون يؤثّر علي رؤيتك للأشياء أم لا؟، وعلم النفس أيضاً يتدخّل فيه، فبعض الألوان تشـيع حالة الانقباض، وبعض الألوان تشيع حالة الانفتاح والانشراح، حتّي لون ثوبك ولون سريرك ولون غرفتك يحتاج إلي عدّة علوم، فكيف بإقامة حضارة متكاملة؟!

إن الإمام المنتظر عليه السلام دوره دور إقامة الحضارة الكونية العامة،

والتي تسيطر علي هذا الفضاء اللاّمتناهي بجميع ذرّاته وجميع مجرّاته وجميع طاقاته وجميع كنوزه وجميع ذخائره الهائلة.

إن القرآن الكريم يقول: (يا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطارِ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لا تَنْفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطانٍ)(1)، النفوذ من أقطار السماوات والأرض يعني إقامة الحضارة الكونية، حيث تصبح السماء والطاقات بل الكون بأسره بيدنا، ولا يمكن السيطرة علي الكون كله وإقامة الحضارة الكونية إلاّ بسلطان، فمن هو السلطان؟ إن السلطان هو الشخص الذي يملك مفاتيح الكون، ويملك حقائق العلوم، علم الفيزياء، وعلم الفلك، وعلم الذرة، وعلم الطب... الخ، فحقائق العلوم كلها يملكها الشخص المُعدّ لذلك وهو الإمام المنتظر عليه السلام، فهو السلطان، والإمام المنتظر هدفه إقامة الحضارة الكونية، وإقامة الحضارة الكونية يتوقف علي تزاوج العلوم وتلاقحها.

إذن، الجديد في دولة الإمام المنتظر وفي حضارته وعهده هو أنه سيقيم حضارة كونية، وستتزاوج جميع العلوم والمعارف في عصره عليه السلام، ولذلك عبّر عنه الرسول الأعظم محمّد صلي الله عليه وآله وسلم، بالبعث: (لو لم يبقَ من الدنيا إلاّ يوم واحد لطوَّل الله ذلك اليوم حتّي يبعث رجلاً من ولدي ـ أو من أهل بيتي، أو منّي ـ، يواطئ اسمه اسمي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما مُلِئَت ظلماً وجوراً)(2).

المفردة الثانية: كيف يملأ الإمام عليه السلام الأرض قسطاً وعدلاً؟

اشارة

مفردة الامتلاء: (يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً)، كثير من الناس يتصوّر أن الامتلاء مجازي وليس حقيقياً، فلا

1- 123. الرحمن: 33.

2- 124. غيبة الطوسي: 181/ 140؛ مسند أحمد 1: 99؛ سنن الترمذي 3: 343.

يتصوّر أن الأرض تُملأ ظلماً، فليست الأرض كلها مسكونة، فنسبة قليلة من الأرض هي التي تعيش حالة سكن الإنسان ومجتمع الإنسان، فكيف تُملأ الأرض ظلماً وجوراً؟ إن بعض الناس يتصوّر أن التعبير مجازي، فيقول: بما أن الأرض لا يسكنها الإنسان بتمام بقاعها، بل يسكن بعض مناطق الأرض دون بعض، إذن ليست جميع بقاع الأرض فيها ظلم، وإنما الظلم بخصوص بعض البقاع، وهي البقاع والمناطق التي يسكنها الإنسان، فليست الأرض كلها ظلماً، إذن تعبير الرسول صلي الله عليه وآله وسلم: (كما ملئت ظلماً) تعبير مجازي، يعني بلحاظ أن الكثير من مناطق الأرض مملوءة بالظلم، لذلك قال رسول صلي الله عليه وآله وسلم: (مُلِئت ظلماً وجوراً)، فالامتلاء ليس حقيقياً.

لكننا نقول: لا، الامتلاء تعبير حقيقي، سيأتي يوم تُملأ فيه الأرض ظلماً وجوراً، ثمّ يملؤها الإمام عليه السلام قسطاً وعدلاً، كيف؟

الفرق بين القسط والعدل، وبين الظلم الجور:

لكي أشرح هذا المعني لا بدَّ من بيان أمرين:

الأمر الأوّل: إن هناك فرقاً بين القسط العدل، وبين الظلم وبين الجور، قد يُتَصَوَّر أن هذه تعبيرات مترادفة، قسط يعني عدل، وظلم يعني جور ولا فرق بين هذه التعبيرات، لا بل هناك فرق، فالقرآن الكريم يقول: (فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ)(1)، يعني هناك عدل، وهناك قسط، فالعدل غير القسط، والظلم غير الجور، إن القسط يقابله الظلم، والعدل يقابله الجور، وبيان ذلك إن الحق ـ أي حق من الحقوق، حق المجتمع، حق الفرد ـ له مرحلتان: مرحلة نظرية، ومرحلة عملية:

1- 125. الحجرات: 9.

المرحلة النظرية: هي عبارة عن تحديد الحق، هذه هي المرحلة النظرية للحق، وهذه نسـمّيها بالقسط، إذا حدّدنا الحق فنحن مقسطون، وإذا لم نحـدّد الحق فنحن ظالمون، المرحلـة النظريـة للحق هي عبارة عن تحديده، فإذا حُدّد كان تحديده قسـطاً، وإذا أُهمل كان عدم تحديده ظلماً.

كيف؟

مثلاً الجنين في بطن أُمّه لا بـدَّ أن نحـدّد حقه أوّلاً بما ينسـجم مع دوره في الحياة وبما ينسـجم مع دوره في الوجود، فإذا حـدّدنا حقه فهـذا يُسـمّي قسـطاً، وإذا لم نحـدّد حقه فهـذا يسـمي ظلماً، فالمرحلـة النظرية للحق هي عبارة عن الدوران بين القسط وبين الظلم، ولذلك تري القرآن الكريم يربط الميزان دائماً بالقسط، مثلاً يقول تبارك وتعالي: (وَنَضَعُ الْمَوازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيامَةِ)(1)، والقسط هو الوزن، أي تحديد الحق، قال تعالي: (وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلا تُخْسِرُوا الْميزانَ)(2)، إذن تحديد الحق نُسمّيه ميزاناً قسطاً، وعدم التحديد نسميه ظلماً.

المرحلة العملية: بعد أن عرفنا الحق وعرفنا أن الجنين من حقه الحياة، إذن إجهاض الجنين اعتداء علي الجنين وسـلب ذي الحق حقه، فمن حق الجنين الحياة، وعدم إعطاء الجنين حق الحياة يعدُّ اعتداءً علي الجنين، فإذا أعطيناه حقه فهذا يُسمّي عدلاً، فالعدل عبارة عن إعطاء ذي الحق حقه، وإذا لم نعطِه حقه يُسمّي جوراً، فالجور هو عبارة عن عدم

1- الأنبياء: 47.

2- الرحمن: 9.

إعطاء ذي الحق حقه، فالمرحلة العملية للحق تدور بين العدل والجور، فإعطاء الحق عدل، وأخذ الحق جور، هذا الذي أردنا أن نشرحه، وهو الفرق بين القسط والعدل، وبين الظلم والجور.

الأمر الثاني: وهو أن الظلم والجور لا يختصُّ بحالة معينة، كيف؟ إن الظلم ليس هو الذنب فقط، فمن ارتكب ذنباً فقد ظلم، أو من اعتدي علي غيره فقد ظلم، فهل الظلم منحصر في ارتكاب الذنب أو منحصر في الاعتداء علي الآخرين؟ لا، الظلم أوسع من ذلك وأعمق، كيف؟

علاقات الإنسان الثلاث:

كل إنسان له ثلاث علاقات: علاقة مع الله، وعلاقة مع أخيه الإنسان، وعلاقة مع الطبيعة التي يعيش فيها، وكل علاقة لها حقوق ووظائف، فعلاقتك مع الله لها حق، وحقها الشكر، فمن شكر الله فقد أدّي الحق الإلهي، ومن لم يشكر فقد جار علي الحق الإلهي، (لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذابي لَشَديدٌ)(1)، هذه هي العلاقة مع الله عز وجل.

أما العلاقة مع الإنسان فهي قائمة علي الإنسانية والمُثل والقيم، فالقرآن الكريم يمدح النبي المصطفي محمّداً صلي الله عليه وآله وسلم بعلاقاته الإنسانية التي يتعامل بها مع الآخرين بدافع الإنسانية: (وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَليظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ)(2)، (وَإِنَّكَ لَعَلي خُلُقٍ عَظيمٍ)(3).

والإمام الصادق عليه السلام يقول: (من التواضع أن ترضي بالمجلس

1- إبراهيم: 7.

2- آل عمران: 159.

3- القلم: 4.

دون المجلس، وأن تُسَلّم علي من تلقي، وأن تترك المراء وإن كنت محقاً، وأن لا تحبّ أن تُحمَد علي التقوي)(1).

إذن، بالنتيجة علاقتك مع أخيك الإنسان يجب أن تبتني علي الإنسانية، وإلاّ فهي جور ونأتي إلي علاقتك مع الطبيعة، ربما يقول الإنسان: ما ربطي مع الطبيعة؟ إن الطبيعة لها حقوق عليك، الأرض التي تعيش عليها والفضاء الذي تعيش فيه والهواء الذي تتنفسه والجسم الذي يحملك كل هذه طبيعة، والطبيعة لها حقوق عليك، فإذا أدّيت هذه الحقوق كنت عادلاً، وإذا لم تؤدّ هذه الحقوق كنت جائراً، فإذن الجور يشمل حتّي علاقتك مع الطبيعة.

ما هو دور الطبيعة؟

الإنسان واستثمار الطبيعة:

إن حق الطبيعة هو الاستثمار المتوازن، أي أن تستثمرها استثماراً متوازناً، قال تعالي: (هُوَ الَّذي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً)(2)، الذلول أي الناقة أو الفرس، فإذا صار طيعاً لراكبه يُسمّي ذلولاً، وهذه الأرض ذلول تطيعك، فتستطيع أن تزرعها كحديقة، وأن تستخرج منها النفط والمعادن والطاقات، وتستطيع أن تبني عليها حضارة شامخة، فالأرض تربة طيّعة بين يديك، (هُوَ الَّذي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا في مَناكِبِها)، أي لا تقعد في بيتك، اشتغل، تحرّك، اعمل، استثمر الأرض.

إذن مطلوب منك أن تستثمر الطبيعة استثماراً متوازناً، كيف؟

1- الكافي 2: 122/ باب التواضع/ ح 6.

2- الملك: 15.

عندما تسمع في الأخبار أن فيضانات في السنغال _ مثلاً _ تكتسح البيوت وتقضي علي مئات البشر، وتسمع في الأخبار نفسها أن هناك جفافاً في أفغانستان لمدّة ثلاثين سنة، أي أن هناك فيضانات في بعض البقاع وجفاف في بعض البقاع، فهل تتصور أن الإنسان عاجز عن استثمار نعمة الماء استثماراً متوازناً؟ الإنسان ليس بعاجز، إن الإنسان الذي استطاع أن يبني الدرع الصاروخي، واستطاع أن يتعملق علي الفضاء، وأن يكون رقيباً علي الأرض يراقب دولها ومجتمعاتها وحضاراتها، وحتّي النفس أصبح الإنسان قادراً علي رقابته وعلي تحديده، إن هذا الإنسان القادر علي هذه التقنية الهائلة أليس قادراً علي استثمار الماء بشكل متوازن؟ أليس قادراً علي حفظ الماء بحيث لا تصبح فيضانات في بعض البقاع وجفاف في بعض البقاع الأخري؟

إن الإنسان قادر علي ذلك، فهو يملك الوسائل العلمية التي من خلالها يمكنه أن يستثمر الماء استثماراً متوازناً، وهذا معني حق الطبيعة، وهناك بعض الدول الغربية تصرُّ علي استحداث آلاف المصانع التي تؤدّي إلي تصاعد ثاني أُوكسيد الكاربون إلي الطبقات العليا، وتصاعده يؤدّي إلي ظاهرة الاحتباس الحراري، وهذه الظاهرة تقضي علي كثير من الكائنات الحيّة وعلي نبع الحياة وبذرة الحياة علي وجه الأرض.

ألا يمكن للإنسان أن يستثمر الطبيعة استثماراً متوازناً بحيث لا يكون استثمارها سبباً لتلوث البيئة أو سبباً لظاهرة الاحتباس الحراري، أليس قادراً؟ هو قادر علي ذلك، إذن الإنسان الذي لا يستثمر الطبيعة استثماراً متوازناً فقد جار علي الطبيعة وظَلَمها، ومن هنا يأتي الحديث الشريف: (بعدما مُلِئت ظلماً وجوراً)، إذ ليس المقصود ظلم الإنسان

للإنسان، بل ليس ظلم الإنسان لنفسه، وليس ظلم الإنسان لربه فقط، بل ظلم الإنسان للطبيعة وللأرض وللعوامل وللظروف التي يعيشها، إن ظلم الإنسان للطبيعة جور يعمُّ كل بقاع الأرض، وإذا جار الإنسان علي الطبيعة وظلمها ولم يستثمرها استثماراً متوازناً فقد جار علي الأرض كلها، ونشر الظلم في أرجاء الأرض كلها، وهذا الظلم يحتاج إلي تنقية، وهذا ما يؤكّد لنا بأن الهدف الذي يعيشه الإمام عليه السلام هو إقامة الحضارة العامة التي تحتاج إلي استثمار الطبيعة استثماراً متوازناً يكفل الحقوق للفرد وللمجتمع وللطبيعة وللأرض.

العدالتان القانونية والشخصية:

المفردة الثالثة: كيفية نشر القسط والعدل في أرجاء الأرض وبقاعها؟

إنّ نشر القسط والعدل يعني إقامة العدالة بنوعيها: العدالة القانونية، والعدالة الشخصية.

ما الفرق بين العدالة القانونية والعدالة الشخصية؟

العدالة القانونية تعني أن لا يظلم أحدٌ أحداً، أي يوجد قانون يمنع اعتداء شخص علي آخر، وكل دولة من الدول قادرة علي تحقيق العدالة القانونية من خلال أجهزتها التنفيذية، جهاز القضاء، جهاز الأمن، جهاز الشرطة، وسائر الأجهزة تعمل في سبيل إقامة العدالة القانونية، لكن العدالة الشخصية لا يمكن السيطرة عليها من قِبَل الدول، لماذا؟

هل عدالة الإنسان مع جسمه يمكن السيطرة عليها من قبل الدولة؟

وهل عدالة الإنسان مع زوجته، وعدالة الإنسان مع صديقه، وعدالة الإنسان مع جاره يمكن السيطرة عليها؟

لا يمكن للدولة أن تقيم العدالة الشخصية؛ لأن العدالة الشخصية _ أي عدالة الإنسان مع نفسه، ومع زوجته، ومع صديقه، ومع جاره _ لا يمكن السيطرة عليها حتّي في دولة النبي صلي الله عليه وآله وسلم، فالقرآن يتحدّث في دولة النبي صلي الله عليه وآله وسلم ويقول: (وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَي النِّفاقِ لا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ)(1)، يعني كان في دولة النبي أناس منحرفون، منافقون يبيتون المكيدة والخطط للإطاحة بالدولة المحمّدية.

إذن، فبالنتيجة العدالة القانونية حققها رسول الله صلي الله عليه وآله وسلم، ولكن العدالة الشخصية لا يمكن تحقيقها؛ لأنها ترتبط بكيان الفرد وبوضع الفرد.

بينما في دولة الإمام المنتظر عليه السلام تتحقق العدالة بنوعيها القانونية والشخصية، وهذا ما يؤدّي إلي نشر القسط والعدل، كيف؟

إن القوانين الإسلاميّة علي قسمين: قوانين رادعة، وقوانين وقائية.

فالقوانين الرادعة تتمثل بالحدود، وتعزيرات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هذه قوانين رادعة.

وهناك قوانين وقائية.

ما معني القوانين الوقائية؟

القوانين الوقائية هي التي تبني الفرد من الداخل، من وجدانه وداخله، والقوانين التي تبني الفرد من داخله ومن وجدانه تُسمّي قوانين وقائية؛ لأنها تقي هذا الفرد من الانجراف في هاوية الرذيلة، وهي تعتمد علي علم الأخلاق وعلم التزكية والتربية.

فمثلاً إذا رأينا شخصاً يفعل منكراً، كمن يقيم علاقة غير مشروعة

1- التوبة: 101.

مع فتاة، فما العمل؟ إنه شـخص مريض، والإنسان المريض يحتاج إلي العلاج لا إلي القوة، فلا بـدَّ أن تـدرس حالته وتُعرف ما هي الدوافع النفسـية التي دفعته للعلاقة غير المشـروعة؟ وما هي الدوافع الأسرية والاجتماعية التي دفعته للعلاقة غير المشروعة؟ أي لا بدَّ لنا أن نتعامل مع المنكرات ومع المعاصـي معاملـة موضوعيـة مبنيـة علي الدراسـة والبحث والقراءة والأرقام والتأمل، فقراءة فعل المنكر والمعصـية قراءة ناضجة مبنية علي التأمل والدراسة تساعد في القضاء علي المنكرات والمعاصي، أي تساعد في توفير وتفعيل القوانين الوقائية التي تبني الفرد من الداخل.

كثير منّا _ مع الأسف _ يقول لك: أنا لا أأمر بالمعروف ولا أنهي عن المنكر، فهو ليس واجباً عليَّ.

نقول: لماذا ليس واجباً عليك؟

فيقول: لأـن الفقهـاء قالوا: إنه يُشترط في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر احتمال التأثير، وأنا لا أحتمل التأثير، إذن لا يجب عليَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر!

نقول له: أنت مخطئ؛ لأنك أعطيت حكماً من الخارج من دون تأمُّل، هذا شـخص باطل عاطل، لا يجدي معه الكلام... الخ، فلو درسـت حالته لصار عندك احتمال التأثير، ولو درست دوافعه لأمكنك علاج هذا المرض.

إذن، هناك قوانين رادعـة، وهناك قوانين وقائيـة تبني كيان الفرد المؤمن علي الخُلُق، وعلي النظافة والطهارة من الداخل، والإمام المنتظر عليه السلام ستُركّز دولته علي القوانين الرادعة والقوانين الوقائية من أجل تحقيق العدالة العامة، العدالة القانونية، والعدالة الشخصية.

كيف؟

العناصر الثلاثة المحققة لنجاح العدالة:

اشارة

إن القرآن الكريم يتحدّث عن النبي صلي الله عليه وآله وسلم ويقول: (هُوَ الَّذي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ)(1)، هناك ثلاثة عناصر:

العنصر الأوّل: العنصر الإعلامي:

(يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ)، فالذي ليس عنده إعلام لا يمكن أن ينجح مشروعه.

العنصر الثاني: العنصر التربوي:

(وَيُزَكِّيهِمْ)، فإذا لم تكن هناك أرضية مستعدّة لقبول هذا المشروع، فإن المشروع بدون التزكية سيصبح فاشلاً.

العنصر الثالث: العنصر الثقافي:

(يُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ)، فالمشروع الذي لا يقوم علي ثقافة مشروع فاشل.

إذن، هناك ثلاثة عناصر: عنصر إعلامي، وعنصر تربوي، وعنصر ثقافي. وهذا ما ينهض به الإمام المنتظر عليه السلام، فهو يركّز علي العناصر الثلاثة بشكل يقي الأشخاص من الانحراف في هاوية الرذيلة.

مثلاً تصور بأنك في دولة الإمام المنتظر عليه السلام، وهناك آلاف من القنوات الفضائية، وآلاف من وسائل الإعلام، هذه الآلاف كلها تسيطر عليها مؤسسة واحدة هي المؤسسة الإسلاميّة للإعلام، تنقي هذا الإعلام كله من الغزو الثقافي والشهوي والفكري، ومن أدران الشهوات والشوائب المادية، فهو وسيلة وقائية تبني الفرد بناءً خُلُقياً متكاملاً.

1- 134. الجمعة: 2.

إن العنصـر التربوي في كل مجتمع يحتاج إلي المربي الروحي، لكن مع الأسف كثير من مجتمعاتنا ليس فيها مربي روحاني يُزكّي النفوس ويطهّرها ويزيل عنها درن المعاصي والانحراف، نعم، بعض المجتمعات فيها والحمد لله بعض المربّين، وبعض المجتمعات خالية من أي مربٍّ، لـذلك الإمـام المنتظر يركّز علي هـذه الناحيـة تركيزاً كبيراً، فيبعث المربين الروحـانيين في كل أُسـرة، وفي كل مجتمع؛ من أجل أن يضمن هذا المربي تزكية النفوس وتطهيرها من الشوائب الشهوية والمادية.

أما العنصـر الثقافي، فيبثّ الإمام المنتظر عليه السـلام العلوم والمعارف لكل فرد، فيصـبح كل شخص إنساناً متعلماً وعالماً في عهده؛ لأن الثقافة والعلم من الأساليب الوقائية التي تقصي عن الانحراف والرذيلة.

إذن، متي ما حُقِّقت ومتي ما أُقيمت القوانين الرادعة والقوانين الوقائية تحققت العدالة التامّة، وتحقق قول الرسول صـلي الله عليه وآله وسلم: (يملأ الأرض قسـطاً وعدلاً كما مُلِئت ظلماً وجوراً)، فوظيفة الإمام المنتظر هي إقامة دولة حضارة مبنيّة علي الإصلاح والعدالة التامة، مبنية علي العنصر الإعلامي والتربوي والثقافي، وهي امتداد للدور النبوي المحمّدي: (يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كانُوا مِنْ قَبْلُ لَفي ضَلالٍ مُبينٍ)(1)، وامتـداد للدور العلوي، دور علي بن أبي طالب عليه السـلام الذي كان يقول: (والله لو أُعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها علي أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلت، وإنّ دنياكم عندي لأهون من

1- الجمعة: 2.

ورقة في فم جرادة تقضمها، ما لعليّ ولنعيم يفني، ولذة لا تبقي، نعوذ بالله من سبات العقل وقبح الزلل)(1)، ودولته امتداد للدور الحسني، وللدور الحسيني: (ما خرجت أشراً، ولا بطراً ولا مفسداً، ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمّة جدّي)(2)، فصوت الحسين عليه السلام هو صوت الإمام المنتظر، ونداء الحسين هو نداء الإمام المنتظر.

* * *

1- نهج البلاغة 2: 218/ رقم 224.

2- بحار الأنوار 44: 329.

المحاضرة السادسة: العدالة ودولة الإمام المهدي عليه السلام

اشارة

ص: 97

العدالة ودولة الإمام المهدي عليه السلام

اشارة

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَي الَّذينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ)(1).

انطلاقاً من الآية المباركة هناك عدّة محاور:

المحور الأوّل: العدالة:

اشارة

يميل الإنسان بفطرته وبطبعه إلي حبّ العدالـة؛ لأنها مظهر من مظاهر الجمال، والإنسان بفطرته يعشق الجمال، والجمال قـد يكون جسدياً أو روحياً أو فكرياً، وقد يكون جمالاً فردياً أو اجتماعياً؛ لأن العدالة مظهر للجمال الاجتماعي.

ما هو تعريف العدالة؟

قـد تُعرَّف العدالة بأنها المساواة بين الناس، أي أنْ توزع الثروة توزيعاً متساوياً بين الناس، بحيث لا يكون لأحد نصـيب أكبر من الثروة علي غيره. لكن هـذا التعريف تعريف خـاطئ؛ لأـن العدالـة هي الموازنـة بين حقوق الفرد وحقوق المجتمع، ولتوضـيح هـذا المعني لا بـدَّ من التعرض لعنصرين مهمّين يتعلقان بتحديد مفهوم العدالة:

العنصر الأوّل: التساوي في الخلق:

هل خلق الله تبارك وتعالي البشر متساوين؟ لم يخلق البشر

1- القصص: 5.

متساوين، بل متفاوتين، فبعضهم أكثر قدرة من البعض الآخر في القضايا الفنية، وبعضهم أكثر قدرة من الآخر في التحليلات العقلية أو القوة البدنية، فالقرآن الكريم يقول: (وَمِنْ آياتِهِ خَلْقُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوانِكُمْ)(1).

إن اختلاف الألسن والألوان كناية عن اختلاف الطاقات؛ لأن اللسان واللون مظهران للطاقة التي يمتلكها الإنسان، وإلاّ فلا خصوصية للسان ولا للون، فاللسان يعبّر عن حجم الطاقة، ف- (المرء مخبوء تحت لسانه)(2)، وذلك أيضاً يكشف عن اختلاف الطاقات الكامنة لدي كل إنسان، فالبشر خُلقوا متفاوتين في الطاقات والقدرات، فلا يمكن أن تتحقّق حركة تكاملية بين أبناء المجتمع إلاّ إذا كانوا متفاوتين؛ كي يتكامل كل بالآخر، ومن أجل تحقيق الحركة التكاملية بين أبناء المجتمع خُلقوا متفاوتين. لذلك لو فرضنا مثلاً أن الله تعالي خلق المرأة كالرجل، فهل سيتحقق تكامل بين الرجل والمرأة؟ بالطبع إذا كانت المرأة مساوية للرجل في جميع الخصائص لم يكن ليحصل بينهما تزاوج، ولم يكن بينهما تكامل، ولم ينتجا مجتمعاً ولا حركة تكاملية، لذلك أعطي الله المرأة ما لم يعطِ الرجل، أعطاها قوة من العاطفة لا يملك الرجل عُشراً منها، وأعطي الرجل قدرة علي الحزم والحسم أكثر مما أعطي المرأة، ليكمل كل منهم الآخر، لذلك إذا افترضنا أن هذا الإنسان يمتلك طاقة يستطيع بها أن ينجز لنا عشرة مشاريع اقتصادية في سنة واحدة، وذاك يمتلك طاقة أن ينجز لنا مشروعين اقتصاديين في سنة

1- الروم: 22.

2- الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام، (نهج البلاغة 4: 38/ رقم 148).

واحدة، فهل يمكن أن يُعطَوا من الثروة بشكل متساوي؟ إن المساواة هنا تكون جوراً وليست عدلاً لأن تفاوتهم في الطاقة يعني تفاوتهم في الانجاز، وتفاوتهم في الانجاز يمنع المساواة بينهما في العطاء وفي توزيع الثروة، فإن المساواة بينهما مع تفاوتهما في الطاقة ومع تفاوتهما بالقدرة نظير مدرّس عنده تلميذان في الصف، تلميذ مُجِد ونشط ومتفاعل مع الدرس وفي الامتحان يأتي بدرجات عالية، وتلميذ متكاسل متقاعس، فلو ساوي بينهما في الدرجة لكان ذلك جوراً وبخساً.

إذن، ليست تلك هي العدالة، بل العدالة هي إعطاء كل ذي حق بمقدار ما يستحقه وبمقدار طاقته.

العنصر الثاني: الموازنة بين حقوق الفرد والمجتمع:

أصالة الفرد والمجتمع، والموازنة بين حقوق الفرد وحقوق المجتمع.

هناك بحث فلسفي عند علماء الاجتماع، وهو أن الأصالة تكون للفرد، أم للمجتمع؟ هناك نظرية تقول: إن الأصيل هو الفرد، والمجتمع عنوان اعتباري، وهناك نظرية تقول العكس، لكن النظرية الصحيحة أن كليهما أصيل، فالفرد أصيل بالوجود الأولي العيني الخارجي فهو يتكلم، يفكر، يعطي، يبدع، والمجتمع أصيل بالوجود الثانوي، أي هناك وجود ثانوي للمجتمع، فالفلاسفة(1) عندهم مصطلح يقول: إن هناك فرقاً بين التركيب الانضمامي والتركيب الاتحادي؟

فمثال الأوّل: غرفة نضع لها باباً من خشب ونافذة من الألمنيوم

1- ومنهم الفيلسوف الملا صدر الدين الشيرازي، راجع كتابه: (الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة 2: 334).

وسقفاً من الإسمنت، وعندما تركّب هذه الغرفة لا يحصل تفاعل بين أجزائها، فيبقي الباب من الخشب والنافذة من الألمنيوم والجدار من الإسمنت، فلا يحصل تفاعل بين هذه الأجزاء. والمركّب الذي لا تتفاعل أجزاؤه ولا تتغير يسمي مركباً انضمامياً، وهناك التركيب الاتحادي، حيث الأشياء تتفاعل وتولّد شيئاً ثالثاً، ومثاله الماء المركب من أوكسجين وهيدروجين، فالأوكسجين لا يبقي علي حاله، والهيدروجين لا يبقي علي حاله، ونتيجة تفاعلهما يحدث لنا وجود جديد نسميه الماء، إذن الماء مركب تفاعلت أجزاؤه فحدث وجود ثالث.

ونفس الشيء بالنسبة للمجتمع المكون من أفراد متفرقين، لكنهم لما اجتمعوا في مكان واحد وفي حركة واحدة حصل بينهم تفاعل، ونتيجة هذا التفاعل حصل لنا وجود ثقافي ووجود فكري سُمّي بالمجتمع، فهو أيضاً أصيل، لكن وجوده وجود ثانوي ناشئ عن التفاعل بين أبناء المجتمع والتلاقح والتكامل بينهم.

العقل الخاص والعقل اللغوي:

تذكر مجلة (عالم المعرفة) الكويتية في عددها الصادر في شهر رمضان عام 1983 أنه في عام 1799م ـ يعني مطلع القرن الثامن عشر ـ وُجد في فرنسا صبي عمره 12 سنة في غابة (أفيرون)، حيث رآه الناس عارياً لا يتأثر بالبرد أو بالحر، متوحش، يتعامل مع الناس بعدوانية، وكلّما اقترب منه شخص انقض عليه وعضّه، فقام دكتور فرنسي متخصّص بعلم النفس بإجراء دراسات انثروبلوجية عليه، ودرس الجوانب النفسية فيه،

وجميع الأسـباب التي حـدَّت به إلي أن يكون هكـذا، فتوصّل بعد الدراسة إلي أن هذا الطفل أُخذ وتُرك في الغابة وتربي فيها، ونتيجة تربيته أصبح مثل الحيوانات تماماً، فتوصّل إلي نظرية، هي أن الإنسان له عقلان: عقل خاص، وعقل لغوي.

العقل الخاص: هو العقل الـذي يفكر به الإنسان في كيفيـة الحصول علي طعامه وشـرابه وأمنه وراحته، وهو موجود عند كل إنسان، حتّي لو تربي في الغابة.

وأما العقل اللغوي: فهو العقل الذي من خلاله يكتسب الإنسان اللغة والثقافة، ويتعوّد علي أن يحب، ويعطي ويأخذ، ولا يمكن أن يكتسـبه الإنسان إلاّ من خلال المجتمع.

إذن، لا بـدَّ أن يوجـد الإنسان في المجتمع حتّي يكتسب العقل اللغوي وعقلية البناء والعطاء والتعاون واكتساب الثقافة، فالمجتمع له وجود وهو الوجود الناشـئ عن التفاعل بين الأفراد الـذي يقـدم الثقافـة ويؤكّـد روحيـة العطاء والبـذل والتعاون، فالمجتمع شـيء موجود بالوجود الثانوي، لذلك نسب القرآن الكريم الوجود للمجتمع، فقال: (ما تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَها وَما يَسْتَأْخِرُونَ)(1)، فكما أن الفرد له أجل فالمجتمع أيضاً له أجل، وكما أن الفرد له حياة وموت فالمجتمع أيضاً له حياة وموت، (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتيها رِزْقُها رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذاقَهَا اللَّهُ لِباسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِما كانُوا يَصْنَعُونَ)(2).

1- الحجر: 5؛ المؤمنون: 43.

2- النحل: 112.

إذن، للمجتمع وجود مثل ما للفرد وجود، وكما أن للفرد حقوقاً فإن للمجتمع حقوقاً، ولأجل أنه موجود صار له حقوق، حق الحياة، حق الكرامة، حق الحرية، فالمجتمع بما أنه موجود أيضاً فله حقوق، فالعدالة هي الموازنة بين حقوق الفرد وحقوق المجتمع، فحق الحرية في أن تأكل ما تشاء وتتصرف بأموالك كما تشاء، لكن بممارسة حقك الفردي قد تسلب حقاً اجتماعياً، كمن يريد أن يطبخ في بيته علي الخشب فيحدث تلوثاً في البيئة، فصار حق الفرد علي حساب حق المجتمع، فالعدالة هي الموازنة بين حق الفرد وحق المجتمع، وهذا هو تحديد العدالة.

تطبيق العدالة علي الأرض:

المحور الثاني: تطبيق العدالة علي الأرض كلها، قال تعالي: (وَعَدَ اللَّهُ الَّذينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دينَهُمُ الَّذِي ارْتَضي لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَني لا يُشْرِكُونَ بي شَيْئاً)(1).

وقال تعالي: (وَنُريدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَي الَّذينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوارِثينَ)(2).

وقال تعالي: (هُوَ الَّذي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدي وَدينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَي الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفي بِاللَّهِ شَهيداً)(3).

1- النور: 55.

2- القصص: 5.

3- الفتح: 28.

وقال تعالي: (هُوَ الّذي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدي وَدينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَي الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ)(1).

هـذه آيات كلها تشـير إلي وعـد إلهي سـيأتي فيه يوم تكون هـذه الأرض كلها بيـد الصالحين، تطبّق فيه العدالـة علي جميع أجزاء الأرض، والحـديث النبوي يفسّـر كيف تُملأ الأرض قسـطاً وعـدلاً كما مُلِئت ظلماً وجورا، فامتلاء الأرض بالعـدل فرع امتلاء الناس بالعـدل؛ لأن العدالة علي الأرض هي نتاج الإنسان، فلا بدَّ أن يكون الإنسان عادلاً حتّي يصير نتاجه عادلاً.

لـذلك فالأساليب التربويـة في عصـر الإمام المهدي عليه السـلام للأُسـرة والمدرسة والمجتمع وفي وسائل الأعلام تنتج إنساناً عادلاً، فإذا أنتجت إنساناً عادلاً أنتـج الإنسان العادل العدالة علي الأرض كلها، فلا تبقي منطقة إلاّ وفيها عدل؛ لأنه لا يوجد إنسان إلاّ وهو إنسان عادل؛ لأن الأساليب التربويـة أساليب تخلق العدالـة في الفرد، فينتـج العدالـة للمجتمع، فهـذا الوعـد لا بـدَّ أن يتحقّق؛ لأن خُلْف الوعد من الله الحكيم قبيح، فلا بدَّ من وجود يوم تتحقق فيه العدالة الشمولية للأرض كلها وذلك بخروج القائد المنتظر عليه السلام.

الإرهاصات العامة والخاصة للغيبة:

المحور الثالث: الإرهاصات التي أعدّها الله تبارك وتعالي لوجود الإمام عليه السلام ولغيبته.

الإرهاصات علي قسمين:

1- التوبة: 33؛ الصف: 9.

الإرهاصات العامة: وهي التي تكفل بها الله عز وجل، وأعدّها لوجود الإمام المنتظر عليه السلام ولغيبته، ومنها الأحاديث التي وردت عن النبي المصطفي محمّد صلي الله عليه وآله وسلم، والتي لا تفسير لها إلاّ وجود إمام غائب كما في صحاح العامة: (لا يزال هذا الدين قائماً حتّي يكون عليكم اثنا عشر خليفة، كلّهم من قريش)(1)، أو (كلهم من بني هاشم)(2)، فعبارة: (لا يزال هذا الدين قائماً حتّي يكون عليكم اثنا عشر خليفة) توضح أن هؤلاء الاثني عشر خليفة يبقون مواكبين للدين إلي يوم القيامة، وهذا لا تفسير له إلاّ بوجود إمام وهو الإمام الثاني عشر؛ لأنه لو لم يكن موجوداً لكان هذا الحديث كذباً، فلا بدَّ من وجود اثني عشر إمام يبقون مع بقاء الدين إلي يوم القيامة، وبما أن الأحد عشر قد توفوا، فلا بدَّ من وجود شخص يكون مواكباً لبقاء الدين إلي يوم القيامة.

وهذا أيضاً ما يؤكّده حديث الثقلين: (إنّي مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما إن تمسكتم بهما لم تضلوا بعدي أبداً، وقد أنبأني الخبير اللطيف أنهما لن يفترقا حتّي يردا عليَّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما)(3)، أي يبقيان متواكبين إلي يوم القيامة،

1- راجع: مسند أحمد 5: 87 - 108؛ صحيح البخاري 8 : 127؛ صحيح مسلم 6: 3؛ سنن أبي داود 2: 309؛ سنن الترمذي 3: 340؛... (رووه بتفاوت في اللفظ دون أن يخلَّ بالمعني).

2- ينابيع المودّة 2: 315/ ح 908، و3: 290/ باب 77/ ح 5.

3- رواه جمهور العامة فضلاً عن الخاصة بتفاوت في الألفاظ، والمعني واحد، راجع علي سبيل المثال لا الحصر: كمال الدين: 234 - 241/ باب 22/ ح 44 - 65؛ سنن الترمذي 5: 328؛ سنن النسائي 5: 45.

كما ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: (لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة، إما ظاهراً مشهوراً، أو خائفاً مغموراً، لئلاّ تبطل حجج الله وبيناته)(1)، وهذه الأحاديث تؤكّد مسألة الغيبة.

تمهيد الإمام الحسن العسكري عليه السلام للحجة عليه السلام:

الإرهاص الثاني: وجود الإمام الحسن العسكري عليه السلام:

إن وجود الإمام العسكري عليه السلام هو وجود تمهيدي إعدادي لوجود الإمام المهدي عليه السلام، فالمؤرخون عندما يتحدّثون عن الإمام الحسن العسكري يذكرون أنه كان له تأثير سحري غريب علي من يلتقي به وعلي من ينظر إليه، حتّي علي أعدائه.

مثلاً يقول الحسن بن محمّد الأشعري ومحمّد بن يحيي وغيرهما: كان أحمد بن عبيد الله بن خاقان علي الضياع والخراج بقم، فجري في مجلسه يوماً ذكر العلوية _ أبناء أمير المؤمنين عليه السلام _، وكان شديد النصب والانحراف عن أهل البيت عليهم السلام، فقال: ما رأيت ولا عرفت بسر من رأي رجلاً من العلوية مثل الحسن بن علي بن محمّد بن الرضا في هديه وسكونه وعفافه ونبله وكبره عند أهل بيته وبني هاشم كافة، وتقديمهم إيّاه علي ذوي السن منهم والخطر، وكذلك كانت حاله عند القواد والوزراء والعامة، وأذكر أني كنت يوماً قائماً علي رأس أبي وهو يوم مجلسه للناس، إذ دخل حجّابه فقالوا: أبو محمّد الرضا بالباب، فقال بصوت عالٍ: ائذنوا له، فتعجبت مما سمعته منهم، ومن جسارتهم أن يكنّوا رجلاً بحضرة أبي، فدخل رجل أسمر، حسن القامة، جميل الوجه،

1- نهج البلاغة 4: 37/ رقم 147.

جيّد البدن، حدث السن، له جلالة وهيبة حسنة، فلما نظر إليه أبي قام فمشي إليه، ولا أعلم فعل هذا بأحد من بني هاشم والقواد، فلما دنا منه عانقه وقبّل وجهه وصدره، وأخذ بيده وأجلسه علي مصلاه الذي كان عليه، وجلس علي جنبه مقبلاً عليه بوجهه وجعل يكلمه ويفديه بنفسه وأنا متعجب مما أري منه، إذ دخل الحاجب فقال: الموفق قد جاء، وكان الموفق إذا دخل علي أبي تقدّمه حجّابه وخاصة قواده، فقاموا بين مجلس أبي وبين الدار سماطين إلي أن يدخل ويخرج، فلم يزل أبي مقبلاً علي أبي محمّد يحدّثه حتّي نظر إلي غلمان الخاصة، فقال حينئذٍ له: إذا شئت جعلني الله فداك، ثمّ قال لحجّابه: خذوا به خلف السماطين لا يراه هذا _ يعني الموفق _ فقام وقام أبي وعانقه ومضي.

فقلت لحجّاب أبي وغلمانه: ويلكم من هذا الذي كنّيتموه بحضرة أبي وفعل به هذا الفعل؟ فقالوا: هذا علوي يقال له: الحسن بن علي يعرف بابن الرضا، فازداد تعجبي، ولم أزل يومي ذلك قلقاً متفكراً في أمره وأمر أبي، وما رأيته فيه حتّي كان الليل، فلما صلّي وجلس جئت فجلست بين يديه وليس عنده أحد، فقال لي: يا أحمد، ألك حاجة؟ قلت: نعم يا أبة، فإن أذنت سألتك عنها، فقال: قد أذنت، فقلت: يا أبة من الرجل الذي رأيتك بالغداة فعلت به ما فعلت من الإجلال والإكرام والتبجيل، وفديته بنفسك وأبويك؟ فقال: يا بني ذاك إمام الرافضة الحسن بن علي المعروف بابن الرضا.

ثمّ سكت ساعة وأنا ساكت، ثمّ قال: لو زالت الإمامة من خلفائنا بني العبّاس ما استحقها أحد من بني هاشم غيره؛ لفضله وعفافه وهديه وصيانته وزهده وعبادته وجميع أخلاقه، ولو رأيت أباه رأيت رجلاً جزلاً نبيلاً.

فازددت قلقاً وتفكراً وغيظاً علي أبي وما سمعت منه ورأيته من فعله به، فلم يكن لي همة بعد ذلك إلاّ السؤال عن خبره والبحث عن أمره، فما سألت أحداً من بني هاشم والقواد والكتاب والقضاة والفقهاء وسائر الناس إلاّ وجدته عنده في غاية الإجلال والإعظام والمحل الرفيع والقول الجميل والتقديم له علي جميع أهل بيته ومشايخه، فعظم قدره عندي، إذ لم أرَ له ولياً ولا عدوّاً إلاّ وهو يحسن القول فيه والثناء عليه(1).

ودخل العبّاسيون علي صالح بن وصيف عندما حبس الإمام عليه السلام، فقالوا له: ضيّق عليه ولا توسّع، فقال لهم صالح: ما أصنع به؟ قد وكّلت به رجلين من شر من قدرت عليه، فقد صارا من العبادة والصلاح والصيام إلي أمر عظيم، ثمّ أمر بإحضار الموكلين فقال لهما: ويحكما ما شأنكما في أمر هذا الرجل؟ فقالا: ما نقول في رجل يقوم الليل كله ويصوم النهار كله لا يتكلم ولا يتشاغل بغير العبادة، فإذا نظرنا إليه أرتعدت فرائصنا وداخلنا ما لا نملكه من أنفسنا. فلما سمع العبّاسيون انصرفوا خائبين(2).

وكان يركب في كل اثنين وخميس، وكان يحضر الكثير من الناس ويغص الشارع بالدواب والبغال والحمير والضجة، فإذا جاء الإمام عليه السلام سكنت الضجة وهدأ صهيل الخيل ونهاق الحمير، وتفرقت البهائم حتّي يصير الطريق واسعاً(3).

فلماذا أُعطي الإمام الحسن العسكري عليه السلام هذا التأثير السحري؟

1- الإرشاد 2: 302؛ روضة الواعظين: 250.

2- مناقب آل أبي طالب 3: 530.

3- مناقب آل أبي طالب 3: 533.

إنما جعل له هـذا التأثير حتّي يكون مُصدَّقاً إذا أخبر بغيبة ولده الإمام المنتظر، ولهذا تري أن النبي صـلي الله عليه وآله وسـلم كان يوصـف بالصادق الأمين، فلما جاء يوم البعثة وقف علي الناس فقال: (لو أخبرتكم أن بسـفح هذا الجبل خيلاً تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقيّ؟)، قالوا: نعم، ما جربنا عليك كذباً، قال: (فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد)(1).

إذن، هنـاك إعـداد للشخصـية بحيث يكون حسن السـمعة، مقبول الكلمـة، ذا تـأثير سـحري علي الآخرين؛ لأنه مُعَـد لـدور آخر. والإمام العسـكري أُعطي شخصـية ذات تأثير بلسانها وبصوتها وبشـكلها وبأخلاقها، حتّي إذا تصـدّي لإبلاغ الناس بغيبـة ولـده الإمام المنتظر عليه السـلام يكون مُصدَّقاً بين الناس، وكان كلامه مقبولاً بينهم، فدور الإمام العسكري عليه السلام كان إعداداً إلي دور ولده الإمام المنتظر عليه السلام.

الإرهاصات الخاصة:

الإمام العسكري عليه السلام مارس دورين إعداديين لغيبة ولده الإمام المنتظر:

الدور الأوّل: تربية المجتمع الشيعي علي الاعتماد علي السفراء، فصار الإمام العسكري يحتجب شهوراً عن الناس، ويأمرهم بالاعتماد علي وكلائه وعلي علماء الشـيعة آنذاك، حتّي يتعوّدوا علي غيبة الإمام واسـتقبال الغيبة؛ لأن الناس لو حصلت لهم الغيبة فجأة لأصابهم الارتداد وأصابتهم صدمة نفسية، كالطالب في الصف الذي يطلب منه الامتحان بدون تحضير فهو سيصاب بالإحباط والصدمة النفسية.

1- تاريخ الطبري 2: 62.

أيضاً الغيبة ما جاءت دفعية، بل جاءت قبلها إعدادات وإرهاصات، فالإمام العسكري عليه السلام عوّد الشيعة علي الاعتماد علي سفرائه ووكلائه، حتّي كان الشيعة يعطون أموالهم وحقوقهم لعثمان بن سعيد العمري السمّان ـ حيث كان يبيع السمن ـ وكان يضع الأموال في جراب السمن ويأتي بها إلي الإمام العسكري عليه السلام.

الإعلان العام والخاص عن الإمام المهدي عليه السلام:

الدور الثاني: الإعلام، فقد أعلن عن ولده الإمام المهدي بشكل تدريجي، إعلاناً عاماً، ثمّ إعلاناً خاصاً، ثمّ إعلاناً أخصّ، أوّلاً أعلن إعلاناً عاماً بقوله: (إذا قام القائم أمر بهدم المنائر والمقاصير التي في المساجد)(1)، فهذ إعلان عام. وهناك إعلان خاص لوجهاء الشيعة، فقد كتب إلي ابن بابويه: (عليك بالصبر وانتظار الفرج، فإن النبي صلي الله عليه وآله وسلم قال: أفضل أعمال أمّتي انتظار الفرج. ولا يزال شيعتنا في حزن حتّي يظهر ولدي الذي بشّر به النبي صلي الله عليه وآله وسلم يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلِئت جوراً وظلما، فاصبر يا شيخي يا أبا الحسن علي، وأمر جميع شيعتي بالصبر، فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين، والسلام عليك وعلي جميع شيعتنا ورحمة الله وبركاته)(2).

وهناك إعلان أخصّ، فعن أبي غانم الخادم قال: وُلِد لأبي محمّد عليه السلام ولد فسماه محمّداً، فعرضه علي أصحابه يوم الثالث، وقال: (هذا

1- غيبة الطوسي: 206/ ح 175.

2- مناقب آل أبي طالب 3: 527.

صاحبكم من بعـدي، وخليفتي عليكم، وهو القائم الـذي تمتـدّ إليه الأعناق بالانتظار، فإذا امتلأت الأرض جوراً وظلماً خرج فملأها قسـطاً وعدلاً)(1).

إذن هناك إعدادات قام بها الإمام العسكري عليه السلام لغيبة ولده.

المحور الرابع: نطرح فيه سؤالين:

السؤال الأوّل: ما هي فائـدة بقاء الإمام هذا العمر الطويل؟ نحن نؤمن ببقائه عمراً طويلاً؛ لأن هذا أمر ممكن علمياً، فإذا عرف الإنسان طرق الوقاية من الأَمراض فمن الممكن أن يبقي آلاف السنين سليم الخلايا ومتجدداً.

السؤال الثاني: لماذا قارن به عيسي بن مريم عليه السلام من دون باقي الأنبياء عليهم السلام؟

فائدة بقاء الإمام:

أما بالنسـبة للسؤال الأوّل، فبقاء الإمام هذه المدة الطويلة ليكون شاهداً حسّياً علي المظالم التي ألمّت بأمّة النبي محمّد صلي الله عليه وآله وسـلم، فالإنسـان بطبعه يؤمن بالـدليل الحسـي أكـثر ممـا يؤمن بالـدليل العقلي؛ لأـنه بطبعه مخلوق محـاط بـالحواس الخمس يسـتلهم المعلومات عن طريقها، لـذلك فهو يؤمن بالـدليل الحسـي أكثر من إيمانه بالدليل العقلي، ولذلك تري أنّ الله قد قرن الأنبياء دائماً بمعاجز حسّـ ية؛ لأنها تورث الاطمئنان، فمثلاً عيسـي بن مريم عليه السـلام أحيا الموتي، وموسي بن عمران عليه السلام أُعطي العصا التي تلقف ما يأفكون، والنبي محمّد صـلي الله عليه وآله وسـلم ترجّلت له الشـجرة وتكلمت له، وشقَّ له القمر نصـفين، فالله تعالي قرن الأنبياء بمعاجز حسّية مع

1- كمال الدين: 431/ باب 42/ ح 8.

امتلاكهم أدلّة عقلية؛ لأن طبيعة البشر لا تؤمن إلاّ بالدليل الحسي، ولذلك تلاحظ القرآن ينقل عن الأنبياء التركيز علي القضية الحسية: (وَإِذْ قالَ إِبْراهيمُ رَبِّ أَرِني كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتي)(1)؛ لأن الدليل الحسي أكثر إفحاماً واحجاجاً واطمئناناً: (قالَ رَبِّ أَرِني أَنْظُرْ إِلَيْكَ قالَ لَنْ تَراني وَلكِنِ انْظُرْ إِلَي الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكانَهُ فَسَوْفَ تَراني فَلَمَّا تَجَلَّي رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا)(2)، إذن الدليل الحسّي أكثر مساهمة في حصول الاطمئنان من الدليل العقلي، ولذلك حتّي في يوم القيامة تري الإنسان يجادل ويحاجج، (وَكانَ الْإِنْسانُ أَكْثَرَ شَيْ ءٍ جَدَلاً)(3)، فلا يمكن إسكاته إلاّ بالأدلّة الحسيّة وذلك قوله تعالي: (الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلي أَفْواهِهِمْ وَتُكَلِّمُنا أَيْديهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِما كانُوا يَكْسِبُونَ)(4)، (وَقالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنا قالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ)(5).

إن الإمام عليه السلام مكلّف بإقامة الدولة العادلة، وبمحو الظلم من جذوره، وهذا يستدعي أن يتتبع جذور الظلم منذ أن مات آخر إمام وهو الإمام العسكري عليه السلام إلي يوم خروجه، سواء كانت جذوراً تاريخية أو اجتماعية أو مكانية أو زمانية، حتّي يقتلعها من أسسها ويقيم الدولة العادلة، واقتلاع الجذور تارة يكون بأدلّة عقلية، وتارة بأدلّة نقلية، فالأدلّة الحسّية أكثر إفحاماً للناس، وأكثر احتجاجاً عليهم من أيّ دليل عقلي

1- البقرة: 260.

2- الأعراف: 143.

3- الكهف: 54.

4- يس: 65.

5- فصلت: 21.

آخر، فبقاؤه هـذه الفترة الطويلـة حتّي تكون عنـده شـهادة حسّـية علي جميع المظالم، من أجل إفحام الأمّـة في ذلك الوقت باقتلاع جذور الظلم وبناء أصول العدل.

سبب ارتباطه بعيسي عليه السلام:

أما السؤال الثاني: وهو المتعلق باقترانه عليه السـلام بعيسي بن مريم عليه السلام دون باقي الأنبياء عليهم السلام، فتشير بعض الروايات إلي أن زمان خروج الإمام عليه السـلام يكون الدين المسـيطر علي الأرض فيه هو الدين المسـيحي، وذلك يعني أن الدين المسـيحي تبقي بيده مقاليد الأمور مثل ما هو في زماننا هذا، أي أن دين الإسـلام وغيره من الأديان هي أديان شـعوب، أما دين السـلطة الذي بيده مقاليد الحركة العالمية فهو الدين المسـيحي، فإذا خرج الإمام عليه السـلام ومن أجل إقناع هذه الأمم المسيحية سيخرج نبيهم بنفسه وهو عيسي بن مريم عليه السـلام ويقيم لهم الـدلائل علي أنه هو نبيهم وأنه المسـيح، فيؤمنون به قائلين: هـذا نبينا الـذي نؤمن به طيلـة هذه القرون، فيقول عليه السلام: أنا مأموم لهذا الإنسان، أُصلّي خلفه، وأُدين بدينه، وأقول بإمامته. فيظهر الدين الحق علي الدين كله؛ لأن نبي المسيحية بنفسه يعترف بإمامة الإمام عليه السلام ويصلّي خلفه، فتؤول إليه مقاليد الأمور، فالله تبارك وتعالي هيّأ للإمام عاملَين مهمّين، هما:

أوّلاً: العمر الطويل، ليكون شاهداً حسّياً علي المظالم.

وثانياً: عيسـي بن مريم عليه السـلام، ليكون شاهداً علي إمامته وصدقه ودينه، فينقاد العالم إليه، فيملأ الأرض قسـطاً وعدلاً كما مُلِئت ظلماً وجوراً، وإذا خرج يخرج أوّلاً بين الركن والمقام، ثمّ ينتشر خبره،

فيبحث عنه الظـالمون، فيختفي، ثمّ يخرج مرة أخري من الكوفـة ومعه رجال كزبر الحديـد يقاتلون بين يـديه، وأوّل ما يـذهب إلي قبر جـدّه الحسين عليه السلام؛ لأنه منطلق الثورة المهدوية، ويقوم بكربلاء ويرفع رايته المباركة (يا لثارات الحسين)(1).

* * *

ص: 115

1- يشـير إلي ذلك ما روي عن الإمام الرضا عليه السلام في حديثه إلي أحد أصحابه، وهو الريان بن شبيب عندما دخل عليه في أوّل يوم من المحرم، قال عليه السـلام: (... يا بن شبيب، إن كنت باكياً لشـيء، فابك للحسـين بن علي بن أبي طالب عليه السـلام، فإنه ذُبـح كما يُـذبح الكبش، وقتـل معه من أهل بيته ثمانيـة عشـر رجلاً ما لهم في الأرض شبيه، ولقـد بكت السـماوات السـبع والأرضون لقتله، ولقـد نزل إلي الأرض من الملائكـة أربعة آلاف لنصـره، فوجدوه قد قتل، فهم عند قبره شـعث غُبر إلي أن يقوم القائم، فيكونون من أنصاره، وشـعارهم: يا لثارات الحسين)، (راجع: أمالي الصدوق: 192/ ح 202/ 5).

المحاضرة السابعة: شبهات حول الإمام المهدي عليه السلام

اشارة

ص: 117

شبهات حول الإمام المهدي عليه السلام

اشارة

بسم الله الرحمن الرحيم

تعرّض بعض الكتّاب لبعض الشبهات في مسألة الإمام المنتظر عليه السلام، ونحن نتعرّض لأهم هذه الشبهات والإجابة عليها:

الشبهة الأولي: حول ولادة الإمام المهدي عليه السلام:

وهي تتضمن ثلاث فقرات:

الفقرة الأولي: أن الإمامية ومنهم الشهيد الإمام الصدر قدس سره اعتمدوا في إثبات ولادة الإمام المهدي عليه السلام علي روايات النوّاب الأربعة: عثمان بن سعيد العمري، وابنه محمّد، والحسين بن روح، وعلي بن محمّد السمري، وروايات هؤلاء لا يمكن الاعتماد عليها؛ لأنهم يجرّون النار إلي قرصهم، فهم يدّعون ولادة الإمام والنيابة عنه كي يحصلوا علي منصب الزعامة عند الشيعة، ويأخذوا أموال الشيعة بعنوان حق الإمام عليه السلام، فدعواهم أن هناك إماماً وأنهم نوّاب عنه لا يُعتمد عليها؛ لأنها دعوي مريبة وموطن للتهمة.

الفقرة الثانية: أن هناك بعض الروايات التي اعتمد عليها الشيخ المجلسي (صاحب البحار) في إثبات ولادة الإمام رواتها من المعتقدين بالولادة، وهم جماعة اعتقدوا بولادة الإمام، وساقوا هذه الروايات إثباتاً لمعتقدهم، فإذا كانوا قد ساقوا هذه الروايات إثباتاً لمعتقدهم، فكيف نعتمد علي رواياتهم؟ فالمفروض أن نأخذ الرواية من طرف محايد، لا من طرف يدّعي هذه العقيدة ثمّ يسوق الرواية دليلاً علي صحة معتقده.

الفقرة الثالثـة: أننا نعتمد في روايات إثبات ولادة الإمام عليه السـلام وغيبته علي (كتاب الكافي) المتضـمن لروايات موضوعة ومقطوع بعدم صحتها، كروايات تحريف القرآن الكريم، فإذا كانت بعض رواياته موضوعة، فكيف نعتمد علي رواياته الأُخر، أو الوثوق بها؟

ونحن نتعرّض للإجابة عنها تفصيلاً:

الملاحظـة الأولي: أنّ ما يـذكره علماء الأصول هو أن خبر الثقـة حجّة ومتي ما كان المخبر ثقةً، فإنه يؤخذ به، وأما احتمال أنه متهم أو أن له قصداً وراء خبره فلا يُعتمد علي هذه الاحتمالات ولا يعتد بها ما دام المخبر ثقة، والدليل علي ذلك الآية القرآنية، والبناء العقلائي.

الدليل الأوّل: الآية القرآنية: (يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا إِنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصـيبُوا قَوْماً بِجَهالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلي ما فَعَلْتُمْ نادِمينَ)(1)، وهي تتضـمن منطوقاً ومفهوماً، منطوقها جملـة شـرطية (إِنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا)، أي إن خبر الفاسق لا يؤخـذ به، ولكن يُتبين صـحته وعـدم صحته. ومفهومها أنه لو جاء بالخبر عادل فلا يُتبين، فإن الـذي يُتبين منه هو خبر الفاسق، وأما لو جاءنا بالخبر إنسان عادل فخبره يؤخذ به من دون تَبيُّن.

ولا يُعتني بالاحتمالات والشكوك، كاحتمال أنه يقصد شيئاً آخر، أو أن عنده أهدافاً ودواعي أخري. فمقتضي إطلاق الآية المباركة من حيث مفهومها أن الجائي بالخبر إن كان عادلاً فلا يُتبين خبره، بل يؤخذ به ويعول عليه، فخبر الثقة يؤخذ به ولا يُبالي بالشكوك والأوهام.

الدليل الثاني: هو بناء العقلاء، فالمرتكز العقلائي لسيرة العقلاء

1- الحجرات: 6.

يبيّن لنا كيفية التعامل مع الأخبار، فلو جاء إنسان مريض بمرض القلب إلي طبيب متخصّص في أمراض القلب وقال الطبيب للمريض: أنا قادر علي علاجك وتخليصك من هـذا المرض، فهـذا الطبيب صادق بإخباره المريض أنه قادر علي علاج هـذا المرض وقادر علي تحـديد الـدواء، فلو توقف المريض وقال: لا، لعلَّ للطبيب غرضاً من هـذا الكلام، كأن يكون هـدفه هو أخذ أموالٍ من عندي فأنا لا أعمل بخبره ولا أعتمد عليه، ألا يلومه العقلاء ويكون موقع الملامة بين الناس، ويقولون له: هذا طبيب ماهر صاحب اختصاص وإنسان ثقة قال مرضك كذا وعلاجك كذا، فلماذا لا تعتمد عليه؟ فإن هذا الاحتمال لا يُعتني به، إذ المهم أنه طبيب ثقة، وما دام ثقة فيعول علي خبره ويؤخذ بكلامه.

النوّاب الأربعة ومكانتهم لدي الشيعة:

المفروض أن النوّاب الأربعة قبل أن يقولوا بأنهم نواب كانوا معروفين بين الشـيعة بجلالتهم ووثاقتهم وزهدهم وورعهم، وكانوا معروفين بين المسـلمين آنـذاك بالجلالة والوثاقة، ولذلك لما ادّعوا أن هناك إماماً وأنهم نوّاب عنه لم يكذّبهم العلماء أو الناس، فقد كان هناك علماء أعلم من هؤلاء النوّاب الأربعـة، فالأشـعريون في قم، ووالد الصدوق في قم، وغيرهم من علماء الشـيعة في ذلك الوقت كانوا فقهاء معروفين، مع ذلك لما أخبر النوّاب الأربعـة أنهم نوّاب عن الإمام اعتمـدوا عليهم وأمروا الشـيعة بالرجوع إليهم، ولـم يتوقفوا، ولـم يقولوا إن هؤلاء يجرّون النار إلي قرصهم، أو لعلَّ عندهم دواعي وأغراضاً وراء ذلك، فعلماء الشيعة آنذاك لم يعترضوا عليهم بأيّ اعتراض، بل سلّموا

بكلامهم، وأصبحت الشيعة ترجع إلي هؤلاء النوّاب الأربعة في مسائلها وأحكامها وقضاياها الدنيوية والمادية من دون معارضة، بل بتأييد علماء الشيعة آنذاك.

إذن وثاقة المخبر هي مناط حجّية خبره.

الملاحظة الثانية: ما هو الميزان في كون الخبر صحيحاً سنداً؟

أي كيف نعرف أن هذا الخبر صحيح السند أو ليس بصحيح؟ إن الميزان أن نرجع إلي أقوال علماء الرجال، فإذا نصَّ علماء الرجال علي وثاقة الرواة ثبت لنا أن هذا الحديث حديث صحيح سنداً؛ لأن رواته ممن وثّقهم علماء الرجال، أما أنّ الراوي يعتقد بعقيدة معينة أو لا يعتقد؟ فهذا لا ربط له بقبول الخبر، فإذا اعتقد مثلاً بعض الرواة بعقيدة معينة، ثمّ أخبرنا بخبر يؤيّد عقيدته ويدلُّ علي صحة عقيدته وراجعنا كتب الرجال ووجدنا أن هذا المخبر ـ أي هذا الراوي ـ ثقة ومعتمد عليه عند علماء الرجال، فيؤخذ بخبره، ولا يشترط أن تكون عقيدته موافقة للخبر أو مخالفة له، فهذا شرط لم يشترطه علماء الرجال أصلاً، ولذلك سنذكر بعض أخبار المعروفين بين الطائفة بأنهم علّية وثقة الرواة، كأبي هاشم الجعفري، وعلي القمي، وغيرهم.

نعم، لو أن شخصاً اعتقد بعقيدة ثمّ جاءنا بخبر يؤيّد صحة عقيدته ربما نتوقف، أما لو قال لنا شخص: أنا إنما اعتقدت بالعقيدة الفلانية لأجل هذه الرواية، أي أن هذه الرواية هي دليلي علي عقيدتي، وهذه الرواية هي مستندي في عقيدتي، وهذه الرواية هي البرهان الذي أعتمد عليه لإثبات معتقدي، فيعول علي خبره ويعتمد عليه، ولا يُلتفت إلي مثل هذه الاحتمالات ما دام ثقةً.

الملاحظة الثالثة: الردّ علي إشكالية بعض روايات الكافي:

إن من الغريب من هـذا الكاتب أن يقول: كيف نعتمـد علي روايات الكافي، والحال أن في الكافي روايات غير صـحيحة، وهي محل شكّ، كروايات تحريف القرآن؟

أوّلاً: هـذا الكاتب نفسه اعتمـد علي كتاب (فرق الشـيعة) للنوبختي، واعتمد علي كتاب الأشـعري القمّي (المقالات والفرق) في إثبات أن الشيعة وقعوا في حيرة بعد وفاة الإمام العسكري عليه السلام، والحال أن هذين الكتابين كما يشتملان علي روايات صحيحة فإنهما يشتملان أيضاً علي روايات موضوعة، فما معني تخصـيص كتاب (الكافي) بالإشـكال فقط؟ فأنت تعتمد علي كتاب (الفِرق) للنوبختي، وتعتمد علي كتاب (المقالات والفرق) للأشـعري القمي، وهما كالكافي، فيهما روايات صـحيحة، وفيهما روايات غير صـحيحة، وفيهما روايات مخالفة للواقع، وفيهما روايات مطابقة للواقع، ومع ذلك أنت تعتمد عليهما في إثبات وقوع حيرة عند الشـيعة بعد وفاة الإمام العسكري عليه السلام، فكيف صحَّ لك أن تعتمد علي كتاب فيه قسمان من الروايات: روايات صحيحة، وروايات غير صحيحة؟!

ثانياً: لا يشترط في الاعتماد علي الكتاب أن تكون جميع رواياته صـحيحة؛ لأننا لا نعتمد علي الكتاب، بل نعتمد علي الرواية نفسـها، فكل رواية نأخذها بمفردها، ولا يهمّنا الكتاب، فنأخذ الرواية ونتابع سندها في كتب الرجال، فإذا كان سندها موثقاً أخذنا بها، وإلاّ فلا، أما وجود روايات غير صحيحة في نفس الكتاب فليس مانعاً، ما دامت هذه الروايات معتبرة وموثقة في كتب علم الرجال سنعتمد عليها، وإلاّ فعلي

كلام الكاتب لا يبقي كتاب من كتب المسلمين يؤخذ به حديث واحد؛ لأن جميع كتب المسلمين كما إنها تشتمل علي روايات صحيحة فهي تشتمل علي روايات موضوعة أو مقطوع بعدم صحتها، فمن أين يأخذ الكاتب أحكامه الشرعية؟ أحكام الصلاة والصيام والحج والزكاة من أين يأخذها؟ إنه يأخذها من كتب الحديث، وكتب الحديث تشتمل علي روايات موضوعة وغير صحيحة، فكيف يعتمد عليها في أخذ الأحكام الشرعية مع اشتمالها علي قسم من الروايات غير الصحيحة؟

إن الكتاب الذي اعتمد عليه وهو كتاب (فِرق الشيعة) للنوبختي الذي ذكر أنه وقعت حيرة بين الشيعة بعد وفاة الإمام العسكري عليه السلام، وأخذ منه هذه الكلمة وسجّلها نقطة اتهام كدليل علي عدم التصديق بولادة الإمام المهدي عليه السلام وغيبته، بينما النوبختي نفسه يقول في (صفحة 111) من نفس الكتاب: قد رُويت أخبار كثيرة أن القائم خفي علي الناس، أي أن القائم موجود ولكنه خفي عن الناس وإنه لا يعرف، إلاّ أنه لا يقوم حتّي يظهر ويعرف أنه إمام ابن إمام ووصي ابن وصي يؤتم به قبل أن يقوم، ومع ذلك فيعلم أمره وأمر ثقاته وثقات أبيه وما اتصلت به أمور الله عز وجل، ولا ترجع إلي الإخوة، أي لا ترجع إلي إخوة الحسن، بل ترجع إلي عقبه. فهذا نفسه النوبختي يصرّح أن هناك أخباراً كثيرة تدلُّ علي ولادة الإمام عليه السلام، وأنه خُفي أمره، وأنه لا يظهر إلاّ إذا عُرف أنه إمام ابن إمام، وهذه جنبة لم يأخذ بها، بل تركها علي جانب وأخذ من النوبختي قوله: (إن هناك حيرة وقعت بين الشيعة) كدليل علي عدم ولادة الإمام عليه السلام.

والكليني يذكر بسند معتبر عن عبد الله بن بكير، عن زرارة قال:

سمعت أبا عبـد الله _ يعني الإمام الصادق عليه السـلام _ يقول: (إن للغلام غيبـة قبل أن يقوم)، فقلت: ولِمَ؟ قال: (يخاف) وأومي بيده إلي بطنه، ثمّ قال: (يا زرارة، وهو المنتظر، وهو الـذي يشكّ في ولادته، فمنهم من يقول: مات أبوه بلا خلف، ومنهم من يقول: حمل، ومنهم من يقول: غائب، ومنهم من يقول: ولد قبل وفاة أبيه بسـنتين(1)، وهو المنتظر، غير أن الله عز وجل يحبّ أن يمتحن قلوب الشـيعة، فعنـد ذلك يرتاب المبطلون)(2).

الملاحظة الرابعة: إثبات وجود الإمام عقلائياً:

إن العقلاء إذا بحثوا عن وجود شـخص فكيف يثبتون وجوده؟ فمثلاً هل وُلد للنبي صلي الله عليه وآله وسلم ولد اسمه إبراهيم أم لا؟ فكيف نُثبت ذلك؟ ما هي الطُرق لإثبات أن هناك ولد اسمه إبراهيم؟

الطريق الأـوّل: أن يخبرنا من رآه، ويقول: نعم رأيت ولـداً للنبي صـلي الله عليه وآله وسـلم اسـمه إبراهيم، ويكون إخبار من رآه إذا كان ثقة دليلاً علي وجوده.

الطريق الثاني: علماء الأنساب إذا ذكروا أن من أولاده إبراهيم، عرفنا أن هناك ولداً له اسـمه إبراهيم؛ لأن علماء التراجم والأنساب نصّوا علي ذلك.

الطريق الثالث: اعتراف من ينكر بالموضوع، افترض مثلاً أن إنساناً ينكر ويقول: ليس للنبي ولد، والنبي لـم ينجب إلاّ بنتاً، فنقول له: بل كان له ولد اسمه إبراهيم، مات في زمان أبيه، فإذا رأينا في ثنايا كلام هذا

1- في بعض المصادر: بسنين.

2- الكافي 1: 337/ باب في الغيبة/ ح 5.

الشـخص المنكِر اعترافاً بوجود إبراهيم من حيث لا يشـعر، أخـذنا به كإقرار عليه، وإذا رأينا في كلامه تعريفاً أو إقراراً بوجود إبراهيم ساقه من حيث لا يشعر أخذنا به كحجة ضدّه.

هذه الطرق كلها مشـتملة ومجتمعة تثبت ولادة الإمام عليه السـلام، ولكن الكاتب قال: ليس هناك رواية صحيحة علي أسماء الأئمّة الاثني عشر، أي لا يوجد رواية علي أن الرسول صلي الله عليه وآله وسلم نصَّ عليهم، أو أن الإمام علي نصَّ عليهم بأسمائهم!

إثبات وجود الإمام بالنصّ:

مع أن هنـاك روايـات كثيرة يمكن أن ترجعوا إليهـا في كتـاب (الكـافي)(1) للكليني، و(إكمال الـدين)(2) للصـدوق، ومنها هذه الرواية، الصدوق روي بإسـناد صـحيح عن عبد الله بن جندب، عن الإمام موسـي بن جعفر عليه السلام أنه قال: (تقول في سجدة الشكر: اللهم إني أُشـهدك وأُشـهد ملائكتك وأنبيائك ورسـلك وجميع خلقك إنّك أنت الله ربي، والإسـلام ديني، ومحمّد نبيي، وعلي، والحسن، والحسين، وعلي بن الحسين، ومحمّد بن علي، وجعفر بن محمّد، وموسي بن جعفر، وعلي بن موسي، ومحمّد بن علي، وعلي بن محمّد، والحسن بن علي، والحجة بن الحسن أئمّتي، بهم أتولي، ومن أعدائهم أتبرأ)(3).

وعن أبي هاشم الجعفري قال: قلت لأبي محمّد الإمام العسكري

1- راجع: الكافي 1: 525/ باب ما جاء في الاثني عشر والنصّ عليهم عليهم السلام/ ح 1 - 20.
2- راجع: كمال الدين وتمام النعمة: 256 - 285/ باب 24/ ح 1 - 37.
3- من لا يحضره الفقيه 1: 33/ ح 967.

عليه السلام: جلالتك تمنعني من مسألتك، فتأذن لي أن أسألك، فقال: (سل)، قلت: يا سيدي، هل لك ولد؟ قال: (نعم)، قلت: إن حدث بك حدث فأين أسأل عنه؟ قال: (سل عنه بالمدينة)(1).

وأيضاً الخبر الآخر المعتبر عن محمّد بن علي بن بلال _ من وكلاء الإمام _، قال: خرج إليَّ من أبي محمّد، قبل مضيّه بسنتين يخبرني بالخلف من بعده، ثمّ خرج إليَّ من قبل مضيه بثلاثة أيام يخبرني بالخلف من بعده(2).

هذه روايات تؤكّد علي ولادة الإمام عليه السلام، وأن له ولداً وأن له خلفاً وهي روايات معتبرة.

السيدة حكيمة بنت الإمام الجواد عليه السلام عمّة الإمام العسكري عليه السلام، وهي القابلة التي تولت أمر نرجس رضي الله عنها أُمّ الإمام عليه السلام وقت ولادتها، أخبرتنا برؤية الإمام عليه السلام، وأنها هي التي تولّت أمر ولادته، وأنها رأته بعد ولادته مراراً(3).

عبد الله بن جعفر الحميري قال: اجتمعت أنا والشيخ أبو عمرو _ يعني محمّد بن عثمان رحمه الله _ عند أحمد بن إسحاق، فغمزني أحمد بن إسحاق أن اسأله عن الخلف، فقلت له: يا أبا عمرو، إني أُريد أن أسألك عن شيء، وما أنا بشاك فيما أُريد أن أسألك عنه...، إلي أن قال: فقال لي: سل حاجتك، فقلت له: أنت رأيت الخلف من بعد أبي محمّد عليه السلام؟ فقال: أي والله ورقبته مثل ذا _ وأومأ بيده _...(4).

1- الكافي 1: 328/ باب الإشارة والنص إلي صاحب الدار عليه السلام/ ح 2.
2- الكافي 1: 328/ باب الإشارة والنص إلي صاحب الدار عليه السلام/ ح 1.
3- راجع: كمال الدين 2: 424/ باب 42/ ح 1 و2.
4- الكافي 1: 329/ باب في تسمية من رآه عليه السلام/ ح 1.

أيضاً الشيخ الصدوق بسند صحيح يروي عن عبد الله بن جعفر الحميري، قال: قلت لمحمّد بن عثمان العمري رضي الله عنه: أسألك سؤال إبراهيم لربه جل جلاله حين قال: (وَإِذْ قالَ إِبْراهيمُ رَبِّ أَرِني كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتي قالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قالَ بَلي وَلكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبي)(1)، أسألك عن صاحب هذا الأمر هل رأيته؟ قال: نعم، وله رقبة مثل ذي _ وأشار بيده إلي عنقه _(2).

إذن، الدليل والطريق الأوّل هو إخبار من رآه.

ولادة الإمام عليه السلام من كتب أهل السُنّة:

أما الطريق الثاني: فهم علماء النسب، وهم أهل الخبرة في مجالهم، فمثلاً لو اختلفنا في مكان أصحاب الكهف هل هو في دمشق أم لا؟ نثبت ذلك بالرجوع إلي علماء الآثار، أليس كذلك؟ فعلماء الآثار أهل اختصاص، فإذا شهدوا وقالوا: نعم، الذي يوجد في دمشق هو الكهف المنتسب لأصحاب الكهف، ألا يُعتمد علي كلامهم؟ طبعاً يُعتمد علي كلامهم؛ لأنهم أهل اختصاص بهذا الأمر، وكما نرجع إلي الأطباء بمجال اختصاصهم، ونرجع إلي المهندسين في مجال اختصاصهم، كذلك نرجع لعلماء الآثار في مجال اختصاصهم، ونرجع إلي علماء الأنساب في مجال اختصاصهم.

قال أبو نصر سهل بن عبد الله البخاري _ وهو من أعلام القرن الرابع الهجري، ومن أشهر علماء النسب المعاصرين للغيبة الصغري، وهو ليس شيعياً _ في كتابه (سر السلسلة العلوية ص 39): وولد علي النقي

1- البقرة: 260.

2- كمال الدين: 435/ باب 43/ ح 3.

ابن محمّد التقي عليه السلام جعفراً، وهو الذي تسميه الإمامية جعفر الكذّاب، وإنما تُسمّيه الإمامية بذلك لادعائه ميراث أخيه الحسن عليه السلام دون ابنه القائم الحجة عليه السلام، لا طعن في نسبه.

ويـذكر السـيد العمري ـ وهو من علماء الأنساب ومن أعلام القرن الخامس الهجري ـ في كتابه (المجـدي في أنساب الطالبيين ص130) قال: مات أبو محمّد ـ يعني الإمام العسـكري عليه السلام ـ وولده محمّد من نرجس معلوم عند أصحابه وثقات أهله، وسنذكر حال ولادته والأخبار التي سمعناها في ذلك.

ويذكر الفخر الرازي الشافعي المتوفي سنة (606ه-) في كتابه (الشجرة المباركة في أنساب الطالبية ص 78) تحت عنوان أولاد العسكري ما نصّه: أما الحسن العسـكري فله ابنان وبنتان، الابنان أحـدهما صاحب الزمان محمّد، والثاني موسـي، درج في حياة أبيه ـ أي مات في حياة أبيه ـ ولم يلقه. وذكر البنتين بعد ذلك.

أيضاً النسّابة الزيدي السيد أبو الحسن محمّد اليماني الصنعاني (من أعيان القرن الرابع عشر، وهو ليس من الشيعة) في المشجرة التي رسمها في كتابه (روضـة الألباب في معرفة الأنساب ص 5) وتحت اسم الإمام العسـكري عليه السـلام مباشرة كتب: (محمّد بن) وبإزائه: (منتظر عند الإمامية).

والطريق الثالث من الطرق المثبتة لولادته اعتراف إخواننا أهل السُّنّة الذين عاصروا تلك الفترة، أي فترة الغيبة الصغري، فلم يذكر أحد منهم عـدم وجوده، ولم نجـد عالماً أو مؤرّخاً منهم نفي وجود الإمام عليه السـلام، أو قال: إن ما تـدّعيه الرافضـة كذب وأنه ليس موجوداً، وإلاّ لو أرادوا أن ينفوا وجوده لنفوه وقالوا: ما

يدّعيه الشيعة مجرد كذب واختلاق، ولكانت حجّة جيدة لضرب الشيعة والطعن فيهم، بل بالعكس رأينا المؤرّخين والمحدّثين منهم يثبتون وجوده، كابن الأثير المتوفي سنة (630ه-) الذي يقول في كتابه (الكامل في التاريخ) الجزء السابع (ص274) في حوادث سنة (260ه-): (وفيها توفي أبو محمّد العلوي العسكري، وهو والد محمّد).

كما يوجد كتاب جيّد بعنوان (الدفاع عن الكافي) للسيد ثامر العميدي، حيث يذكر في (ص 128): أن من أهل السّنّة من اعترف بولادة الإمام وبوجوده، وأوّلهم أبو بكر محمّد بن هارون الروياني المتوفي سنة (307 ه-)، حيث كان معاصراً للإمام عليه السلام في غيبته الصغري في كتابه (المسند)، وآخرهم الأستاذ المعاصر يونس أحمد السامرائي في كتابه (سامراء في أدب القرن الثالث الهجري) المطبوع سنة (1968م).

وأيضاً ابن خلّكان المتوفي سنة (681ه-) حيث قال في (وفيات الأعيان)(1): أبو القاسم محمّد بن الحسن العسكري، ثاني عشر الأئمّة الاثني عشر عند الإمامية، ولد يوم 15 شعبان سنة (255ه-).

وأيضاً الذهبي المتوفي سنة (748ه-)، اعترف بولادة الإمام وبوجوده في ثلاثة من كتبه، يذكر فيقول: وفي سنة (256ه-) ولد محمّد بن الحسن بن علي الهادي أبو القاسم الذي تلقّبه الرافضة الخلف الحجة، وتلقبه بالمهدي، والمنتظر، وتلقبه بصاحب الزمان، وهو خاتمة الاثني عشر(2)، مما يدلُّ علي أنه اعترف بوجوده وبولادته.

1- راجع: وفيات الأعيان 4: 176.

2- راجع: العبر في تاريخ من غبر 3: 31؛ تاريخ دول الإسلام: الجزء الخاص في حوادث ووفيات (251 - 260 ه-): 113 - 159؛ سير أعلام النبلاء 13: 119/ الترجمة رقم 60.

وابن الوردي المتوفي سنة (949ه-) في كتابه (تاريخ ابن الوردي)، نقل عنه الشبلنجي الشافعي في كتابه (نور الأبصار ص 186) أيضاً: قالوا ولد محمّد بن الحسن الخالص سنة (255ه-).

وأحمد بن حجر الهيثمي الشافعي المتوفي سنة (974ه-) في كتابه (الصواعق المحرقة/ الطبعة الأولي/ ص207) في آخر الفصل الثالث من الباب الحادي عشر، قال: أبو محمّد الحسن الخالص بن العسكري، ولد سنة اثنتين وثلاثين ومائتين... مات بسر من رأي ودفن عند أبيه... ولم يخلف غير ولده أبي القاسم محمّد الحجة وعمره عند وفاة أبيه خمس سنين لكن آتاه الله فيها الحكمة، ويسمي القائم المنتظر.

إذن، فبالنتيجة هناك أدلّة كافية ووافية علي ولادته ووجوده عليه السلام، وُلِد ولم تثبت وفاته، ولا كتب أحد لا من قريب ولا من بعيد أنه توفي أو حضر وفاته أحد أو رأي موته أحد أو شيّعه أحد أو صلّي عليه أحد، فقد ثبتت ولادته ولم تثبت وفاته، فمقتضي القاعدة بقاؤه. ولا مانع من أن الله تعالي يبقيه من أجل يومه الموعود الذي وعده في كتابه: (وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَي الَّذينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوارِثينَ)(1)، وقد ذكر العلماء ومنهم ابن الصباغ المالكي(2)، والكنجي الشافعي(3): أنه من الدلائل علي كون المهدي حيّاً باقياً منذ غيبته إلي آخر الزمان بقاء عيسي بن مريم والخضر عليهما السلام.

* * *

1- القصص: 5.

2- 180. في كتابه: الفصول المهمّة: 200 - 287/ فصل 12.

3- 181. في كتابه: البيان في أخبار صاحب الزمان: : 521/ الباب 25.

مصادر التحقيق

القرآن الكريم.

الأمالي: الشيخ الصدوق/ ت قسم الدراسات/ قم/ ط 1/ 1417ه-/ مؤسسة البعثة.

الإحتجاج: الطبرسي/ مطبعة النعمان/ النجف الأشرف / 1368 ه-.

الإرشاد: الشيخ المفيد/ مؤسسة آل البيت لإحياء التراث/ قم.

بحار الأنوار: المجلسي/ مؤسسة الوفاء/ بيروت/ 1403 ه-..

بصائر الدرجات: محمّد بن الحسن الصفار/ ط 1404/ ت ميرزا محسن كوجه/ مط أحمدي/ طهران.

البيان في أخبار مهدي آخر الزمان: الكنجي الشافعي/ دار إحياء تراث أهل البيت / طهران / 1404ه-..

تاريخ الطبري: محمّد بن جرير الطبري.

التفسير الكبير: الفخر الرازي.

تفسير العياشي: العياشي/ المكتبة العلمية الإسلامية/ طهران/ 1380ه-..

تفسير فرات: فرات الكوفي/ الطبعة الأولي/ 1410 ه-/ طهران.

تفسير القمي: علي بن إبراهيم/ مؤسسة دار الكتاب/ قم/ الطبعة الثالثة/ 1404ه-.

تهذيب الأحكام: الشيخ الطوسي/ دار اكتب الإسلامية/ طهران.

جنة المأوي: الميرزا حسين النوري الطبرسي/ طبع في آخر المجلد 53 من بحار الأنوار/ مؤسسة الوفاء/ بيروت/ 1403 ه-.

الخصال: الشيخ الصدوق/ ت عليّ أكبر الغفاري/ جماعة المدرسين/ قم/ 1403 ه-.

دلائل الإمامة: الطبري (الشيعي)/ مؤسسة البعثة/ قم/ 1413 ه-.

روضة الواعظين: محمد بن الفتال النيسابوري/ منشورات الرضي/ قم.

سنن أبي داود: أبو داود السجستاني/ دار الفكر/ (تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي).

سنن ابن ماجة: ابن ماجة القزويني/ دار الفكر/ (تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي).

سنن الترمذي: الترمذي/ دار الفكر/ تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف.

سنن النسائي: أحمد بن شعيب النسائي/ ط 1/ 1348ه-/ دار الفكر/ بيروت.

شرح إحقاق الحق: السيد المرعشي/ مكتبة آية الله المرعشي/ قم.

صحيح البخاري: محمّد بن إسماعيل البخاري/ مط دار الفكر بيروت.

صحيح مسلم: مسلم ابن الحجاج النيسابوري/ دار الفكر بيروت.

الغيبة: الطوسي/ مؤسسة المعارف الإسلامية/ الطبعة المحققة الأولي/ 1411ه-..

الفصول المهمّة: ابن الصباغ المالكي/ دار الحديث/ قم/ ط 1/ 1422ه-.

الكافي: الكليني/ دار الكتب الإسلامية/ طهران (الطبعة الثالثة)/ 1388ه-.

كتاب السنة: عمرو بن أبي عاصم/ المكتب الإسلامي/ ط3/ 1413 ه-/ بيروت.

كمال الدين وتمام النعمة: الصدوق/ مؤسسة النشر الإسلامي/ قم/ 1405ه-.

كنز العمال: المتقي الهندي/ ت مجموعة/ مطبع ونشر/ مؤسسة الرسالة/ بيروت.

المعجم الأوسط: أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني/ دار الحرمين/ 1415ه-.

مفاتيح الجنان/ الشيخ عبّاس القمي/ الطبعة الأولي/ قم/ 1421 ه-.

مجمع الزوائد: نور الدين الهيثمي/ ط 1408ه-/ طبع ونشر دار الكتب العلمية/ بيروت.

المصباح: الكفعمي/ مؤسسة الأعلمي/ بيروت/ ط 3/ 1403 ه-.

مصباح المتهجد: الشيخ الطوسي/ مؤسسة فقه الشيعة/ بيروت/ 1411 ه-.

المستدرك علي الصحيحين: محمّد بن محمّد الحاكم النيسابوري/ ت المرعشلي/ دار المعرفة/ بيروت 1406ه-.

مسند أحمد: الإمام أحمد بن حنبل/ طبع ونشر دار صادر/ بيروت.

مسند أبي يعلي: أحمد بن علي بن المثني التميمي/ دار المأمون للتراث/ دمشق.

من لا يحضره الفقيه: الصدوق/ جماعة المدرسين/ قم/ الطبعة الثانية/ 1392 ه- ق.

مناقب آل أبي طالب: ابن شهر آشوب/ ت مجموعة ط 1376/ مط الحيدرية/ النجف.

الميزان في تفسير القرآن: السيد الطباطبائي/ مؤسسة النشر الإسلامي/ جماعة المدرسين/ قم.

النجم الثاقب في أحوال الإمام الغائب: الميرزا حسين النوري الطبرسي.

نهج البلاغة: خطب الإمام عليّ عليه السلام/ ت محمّد عبده/ دار المعرفة/ بيروت.

وسائل الشيعة: الحر العاملي/ ط 2/ 1414/ مؤسسة آل البيت عليهم السلام/ مط مهر/ قم.

وفيات الأعيان: ابن خلكان.

ينابيع المودة: سليمان القندوزي الحنفي/ ت عليّ الحسيني/ ط 1/ 1416ه-/ دار الأسوة.

* * *

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ يَسْتَوِی الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: 9

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلی، الرقم 129، الطبقة الأولی.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 88318722 ـ 021

قسم البيع 09132000109شؤون المستخدمين 09132000109.

مركز القائمية للبحوث والتحريات الكمبيوترية
اصبهان
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاءِ من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹